أشعـــار لـها مواقف
في تـراثـنا العربي

الدكتور / محمد الغرباوي
أستاذ الأدب والنقد المشارك في جامعة الأزهر - مصر
والدكتور / منذر العبسي
أستاذ الأدب الإنجليزي المشارك في جامعة حلب - سورية

الجزء الأول
من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر العباسي

١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م



المقدمة

شغلتني فكرة هذا الكتاب منذ زمن ليس بالقصير، حين جمعت كثيراً من الأبيات الشعرية التي لها مواقف خاصة، وذلك في أثناء مطالعاتي في كتب الأدب والنقد لالتقاط جزئيات بحثية متنوّعة وحينها قررت جمع هذه الأبيات في كتاب واحد وتحت هدف واحد يفيد القرّاء.

وذات مساء عرض علي صديقي الدكتور/ منذر العبسي مشروع كتاب في الأدب العربي لأرى فيه رأيي قبل أن يقوم باستكمال جمعه وطبعه ومن ثم ترجمته إلى الإنجليزية، غير أنه طلب مني مشاركته في إتمام هذا الكتاب. وعندما تصفّحته وجدت فيه الكثير مما كنت قد بدأت جمعه بنفسي، فأجبت طلبه لإتمام الفكرة التي في ذهني حتى يكون هذا الكتاب جديد في منهجه وفائدته فوافق من غير تردد، ثم بدأنا التخطيط لهذا العمل حتى اهتدينا إلى صورته الحالية.

وقد قمنا بجمع كثير من الأبيات الإبداعية التي اتسمت بالمواقف المتباينة المصوّرة للنفس الإنسانية في مختلف حالاتها، في فرحها وحزنها، وخوفها وأمنها، وترددها ورجوعها، وغيرها من الحالات التي تعتري النفس البشرية، نفس المبدع والمتلقي للموقف على السواء.

وسيرى القارئ صوراً كثيرة لهذه الحالات، سيرى الغضب وثورة النفس في الهجاء والخروج عن حدود الأدب ومايعقب ذلك من تهديد ووعيد متمثلاً في القتل أو الجلد أو السجن أو الطرد من المجلس، كما حدث لطرفة بن العبد، وأبي نواس، وأبي النجم العجلي وغيرهم. كثير.

كما سيرى القارئ التفكير والتغيير الذي اعترى سامع الأبيات وما أعقب ذلك من مراجعة للنفس وإصلاح مابدر منها قبل سماع الأبيات، وتمثل هذا الاتجاه في عدة طرق منها: نسيان الحزن القاتل، والامتناع عن ممارسة عادات طبيعية كالسعل وحك الجسد، ومسارعة الناس للبيعة، والرجوع للزوجة بعد الهجران، واختيار الزوج المناسب، والزيادة في العطاء، وغير ذلك من المواقف الكثيرة— كما حدث مع العباس بن مرداس عندما زاد النبيﷺ في عطائه حتى أوصله مائة من الإبل، وماحدث مع سليمان بن علي عند نسيان الجزع والحزن والعودة

للحياة الطبيعية بسبب سماع بيت واحد، وامتناع أحد القضاة من السعل وكتمان ذلك، ومراجعة أبي حمزة الضبي زوجته. ومصالحة الرشيد إحدى جواريه وغير ذلك من المواقف الطريفة.

ولاندعي أننا أحصينا كل الأبيات التي تمثل تلك المواقف، ولكن حسبنا أننا لم ندخر وسعاً في التنقيب والتفتيش عنها في مظانها من كتب الأدب والنقد والتاريخ، وسيلمس القارئ هذا عند تصفحه لأوراق هذا الكتاب، كما توخّينا البساطة في العرض والأداء والتعليق ليفيد منه كل القراء على اختلاف مستوياتهم وأمزجتهم.

والله نسأل أن ينفع به، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه، إنه نعم المولى ونعم النصير.

المؤلفان

السعودية – أبها ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

التمهـيـد

موطن العرب الأوّل وطبقاتهم وأشهر قبائلهم

العرب أمة من الأمم التي اصطلح المؤرخون على أن يسمّوها سامية (نسبة إلى سام بن نوح) وهي البابلية والآشورية والعبرانية والفينيقية والآرامية. ولقد عاشت هذه الشعوب في الأصل في مهد واحد نشأت فيه وتفرقت منه رغم أن تعيين هذا المهد لا يزال موضع خلاف: فالبعض يقول إنه العراق، والبعض يرجح أنه جزيرة العرب. ومهما يكن الخلاف في مهد الساميين الأول، فقد نزحوا منه منذ غابر الأزمان فسكن البابليون والآشوريون العراق، وسكن الفينيقيون سواحل سورية والعبرانيون فلسطين والبقية من الأعراب سكنوا جزيرة العرب (دول الخليج واليمن مجتمعة الآن). وتقسم جبال السّراة الممتدة من اليمن جنوباً إلى بادية الشام شمالاً جزيرة العرب إلى قسمين: غربي وشرقي. فالغربي يهبط من سفح ذلك الجبل إلى شاطئ البحر فيسمى "الغور" بسبب انخفاضه ويسمّى كذلك "تهامة" لحرّه، والشرقي يصعد إلى أطراف العراق والسماوة فيسمّى "نجدا" بسبب ارتفاعه؛ وما فصل بينهما يسمّى "الحجاز" لحجزه بينهما. أما ما ينتهي به نجد في الشرق حتى يصل إلى الخليج العربي من بلاد اليمامة (الكويت والبحرين وعُمان) فيسمّى بـ"العروض" لاعتراضه بين اليمن ونجد؛ وما يمتد وراء الحجاز إلى الجنوب يسمّى "اليمن"، إما لوقوعه على يمين الكعبة أو ليمنه (وجود الخير فيه).

وفي هذه الأقسام توزع الشعبان العربيان العريقان: شَعب قَحْطان، وشَعب عدْنان. فأما القحطانيون فسكنوا اليمن وكانت لهم فيه عمارة عظيمة وحضارة زاهرة. فلما نَبتْ بهم مرابعه تمزّقوا في البلاد فذهب من كهلان ثعلبة بن عمرو (جد الأوس والخزرج) إلى الحجاز واستقر معظمهم في يثرب (المدينة المنوّرة اليوم). ثم احتل حارثة بن عمرو (خزاعة) الحرم. وارتحل عمران بن عمرو نحو عُمان (ومنهم جاء الأزد)، واستوطنت قبائل نصر بن الأزد تهامة (وهم أزد شنوءة)؛ واستوطن آل جفنة بالشام (هو وبنوه من الغساسنة)، ونزل بنو لَخَم بالحيرة ومنهم نصر بن ربيعة (أبو المناذرة). أما العدنانيون فسكنوا الحجاز وما ياسره إلى ريف العراق، فأقامت بطون قريش في مكة وضواحيها، وبطون كنانة في تهامة، واحتلت ذبيان ما بين تيماء وحوران. وسكنت ثقيف الطائف، وهوزان شرقي مكة، ونزل بنو أسد شرقي تيماء وغربي الكوفة، وبنو تميم بادية البصرة. واستوطنت قبائل تغلب الجزيرة الفراتية، وحلّت سائر بكر بن وائل طول الأرض من اليمامة إلى البحر وأطراف سواد العراق.

ويقسم المؤرخون العرب إلى ثلاث طبقات:

١ - **بائدة:** وهم الذين درست أخبارهم وطمست آثارهم، فلم يسجل لنا التاريخ إلا صفحات مشوّهات لاتنفي ظناً ولا تثبت حقيقة. وأشهر قبائلهم عاد وثمود وطسم وجديس.

٢ - **عاربة:** وهم اليمنيون المنتمون إلى يعرب بن قحطان المذكور في التوراة باسم يارح بن يقطان، ويزعم العرب أنه أصل لسانهم ومصدر بيانهم وبذلك يفتخرون. ومن اليمنيين بطون حِمْيَر (وأشهرهم زيد الجمهور وقضاعة والسكاسك)؛ وبطون كهلان (وأشهرهم همدان وطيء ومذحج وكندة ولخم). ومن لَخَم بنو المنذر في الحيرة والأزد. ومن الأزد الأوس والخزرج في المدينة والغساسنة في الشام. وكانت لحِميَر السيادة على اليمن فمنهم الملوك والأقيال.

٣ - **مستعربة:** وهم ولد إسماعيل عليه السلام، نزل بالحجاز (مدينة مكة) حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد، ثم صاهر ملوك جُرْهم، فكان له بنون وأعقاب ضلّوا في مجاهل الزمن فلم يعرف التاريخ منهم على التحقيق إلا عدنان، وإليه ينتهي عمود النسب العربي الصحيح.

وأشهر قبائل هذه الطبقة ربيعة ومُضر وأنمار وإياد. فمن ربيعة عبد القيس ومنها بكر وتغلب ابنا وائل. ومن مضر انشعبت قيس عيلان وبطون إلياس بن مُضر. فأما قيس عيلان فأشهر بطونها هوازن وغطفان؛ ومن غطفان عبس وذبيان ابنا بغيض. وأما أولاد إلياس فافترقوا، فمنهم بطون تميم بن مُرّ، وهذيل بن مدركة، وبنو أسد بن خزيمة، وبطون كنانة بن خزيمة، ومن كنانة قريش، ثم انقسمت قريش إلى بطون شتى، فمنهم جُمَح وسَهم ومخزوم وعبد الدّار وعبد مناف. ثم كان من عبد شمس ونوفل والمُطّلب وهاشم، ومن هاشم عبد المطلب: وبنوه عشرة منهم عبد الله (أبو النبي محمدﷺ) وأبو طالب (والد علي ابن عم وصهر النبي) والعبّاس وحمزة. فالعلويون ينتسبون إلى علي، والعبّاسيون إلى العبّاس. أما الأمويون فليسوا من بني هاشم بل من أخيه عبد شمس[١].

وإلى هذه الطبقة يرجع الفضل فيما نتكلم من لغة وما نتجمّل به من بيان وما ندرسه من أدب وما نعتقده من دين.

---

(١) يراجع في هذا: جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، ص ٤٠٠ وما بعدها، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي جـ٥ في صفحات متفرقة.

أحوال العرب الاجتماعية والسياسية والدينية والعقلية في الجاهلية

إن للبيئة أثراً كبيراً في حياة سكانها، فهي التي توجههم في سنن حياتهم ونظام معيشتهم ومجتمعهم، وتكوّن أغلب طباعهم وأخلاقهم. وجزيرة العرب (العربية) شبه جزيرة جافة قاحلة قليلة المياه والأمطار والينابيع، فهي لم تكن لتصلح للزراعة الدورية الموسمية ولم تكن تلائم الحياة الحضرية، ومازالت الحياة شبه مستحيلة في بواديها وصحاراها. كان أهلها بدواً يعيشون بالفطرة تحت الخيام على رعي الإبل والمواشي فيطعمون من لحمها ويشربون من لبنها، ويكتسون بصوفها ووبرها، ويتتبعون مواقع القطر والندى ورياض الأرض والكلأ يرعونها فيها، ويترددون إلى هذه الرياض والأودية والفيافي ، إلا قريشاً فتحضّروا واستقروا لقيامهم على البيت الحرام، وإيلافهم رحلة اليمن (في الشتاء) والشام (في الصيف). وكذلك استقر القحطانيون بسبب خصوبة أراضيهم ووفرة مياههم وما كانت تغله أراضيهم من محاصيل الحب والثمر. وكانت إذا أخلفت السماء بالمطر وأمحلت الأرض وضنت بالخير أكل بعضهم بعضاً بالغزو والإغارة. وكان ذلك كثيراً مايجر عليهم فساد القلوب ودوام الحروب وذهاب الأمن وتفرّق الإخوة وتبدد الإلفة. ولم يُنكب الجاهليون بمثل الحرب والجدب، فهم لذلك يمتدحون البأس والسماحة ويتبجّحون باللّسن والفصاحة ويؤثرون الذّكر على الأنثى ويتكاثرون بالعدد ويعتزّون بالقرابة الواشجة والقبيلة الكبيرة الضاربة.

ثم إنهم ألفوا حياة الظّعن والتجوال وتوزّع همّهم بين الجدال والقتال؛ ومن هنا غلبت عليهم الحرية والقبلية العصبية والوحشية، فلم تكن لهم حكومة مدنية اجتماعية ولا حكومة سياسية ولا أنظمة عسكرية ولا فلسفة دينية. وإنما كان مجتمعهم مجتمع القبيلة والخيمة، لا مجتمع الشعب والأمة. أما الحكومة فكانت لرؤساء القبائل والعشائر يملكون بالإرث ويحكمون بالعرف، إلا في الحيرة والشام فقد كان هناك ملوك متوّجون ولكن لم تكن لديهم الاستقلالية: فاللخميون في الحيرة كانوا يتّبعون أكاسرة فارس والغسّانيون في الشام كانوا يتّبعون قياصرة روما. وحتى النظام العسكري لم ينتظم ويثبت إلا بعد الإسلام، لأن المرءوسية والتجرّد عن الشخصية (وهما من أركان النظام العسكري) يتضادان مع إعجاب العربي وزهوه بنفسه واعتداده بشخصه. والدّين كان دين بساطة وسذاجة وتقشّف فلم يكن للعرب ما كان للإغريق أو الرومان من تعدد الآلهة وضخامة المعابد والهياكل وإقامة التماثيل وكثرة الأساطير وفلسفة العقائد، إنما كان الدين بقية باقية من دين الحنيفية الإبراهيمية التي جاءت عبر القرون عن طريق الوراثة وكانت مشوّهة بسبب تطاول العهد وشيوع الجهالة وعدم القرار، فحالت في

نفوسهم إلى عبادة الأصنام وتعظيم الأوثان ونصبها على الكعبة تقرّباً بها إلى الله حسب زعمهم[1].

وهذه الوثنية كانت ديانة غالبية العرب في الجزيرة؛ وأما القلة فكان بعضها على اليهودية في اليمن وفي يثرب وما جاورها من أراضي تيماء وخيبر (مدن في شمال السعودية اليوم) وبعض القبائل كانت نصرانية وخاصة في منطقة نجران (جنوب السعودية اليوم) وفي قبائل طيء والغساسنة في الشام[2].

وأما الأسرة وهي نواة القبيلة فكانت تتألف من الأبوين والأولاد والأحفاد والرقيق. وكانت سلطة الأب مطلقة على أسرته وأولاده. وكان للزوجة المكانة السامية الثانية في الأسرة يجلّها الزوج في نفسه ويشاركها في أمره ويتغنى باسمها في شعره ويفخر الابن بنسبته إلى أمه كما يفخر بنسبته إلى أبيه. وكانوا يعددون بين الزوجات إلى حد غير معروف، أما علاقة أبناء الأسرة بأبناء القبيلة فيمكن اختصارها بالعبارة التالية: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) على ما بين أبناء العم من تنافس وتباغض أحياناً، ولكن الواحد كان للقبيلة والقبيلة للواحد.

وأما حالتهم العقلية فقد كان التبابعة في اليمن والمناذرة والغساسنة في الشمال على حظ من العلوم يدل عليه ما أقاموه من السدود وأحيوه من الأراضي وعمروه من المدن، ولكن درجة رقيهم وحقيقة علومهم لا تزال سرّاً مطوياً في جوف الأرض ربما تكشف عنه التنقيبات الأثرية في المستقبل.

أما العدنانيون فقد أكسبتهم قوة الملاحظة وكثرة التجارب واضطرار الحاجة جملة من العلوم المبنية على التجربة والاستقراء، فعرفوا الطب والبيطرة والخيل لاتصالها بالحرب؛ ولاحظوا الأنواء والرياح والنجوم لعلاقتها بالمطر والمراعي، وكذلك كعلامات هداية في ظلمات البر والبحر. وبرعوا في الأنساب والأخبار والأشعار محافظة على عصبيتهم وتفاخراً بأنسابهم وتخليداً لمآثرهم ومهروا في الفراسة والقيافة ووصف الأرض وتتبع آثار البشر. ثم إن الجانب الروحي فيهم قادهم للاستعانة بالعرّاف للاستفتاء في أغراضهم والتجئوا للكهان لمعرفة أمراضهم، ولكن الإسلام ذهب بكل ذلك وأبطله.

---

(1) بقيت قريش متمسكة بدين إبراهيم الخليل وبدين جدّها إسماعيل، وبعقيدة التوحيد وبعبادة إله واحد حتى نشأ فيهم عمرو بن لحيّ فكان أول من غيّر دين إسماعيل فنصب الأوثان وأحدث في الحيوانات من التعظيم ما لم يكن في جاهلية العرب. وكان قد خرج من مكة إلى الشام متاجراً فرأى أهل الشام يعبدون الأصنام ففتن بها وجلب بعضها إلى مكة فنصبها وأمر الناس بعبادتها.

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٣٢/١ وما بعدها.

وخلاصة القول، أن المجتمع العربي خارج القبيلة كان مفككاً من الجهات السياسية والاقتصادية واللغوية، مرتبطاً من الجهات الخلقية والعقلية والأدبية. ويمكن القول بأن العرب بمقتضى لغتهم وأدبهم كانت لهم نفوس كبيرة وأذهانٌ بصيرة وحنكة وخبرة ومعرفة واسعة تكوّن جلّها لديهم من خلال قرائحهم وثمار تجاربهم؛ فإن لغتهم وهي صورة اجتماعهم لم تدع معنىً من المعاني التي تتصل بالروح والفكر والجسم والجماعة والأرض والسماء إلا استوعبت أسماءه ورتّبت أجزاءه. إن مسألة وضع اللفظ للشيء دليل على وجوده وعلمه، ومن المعلوم أن التمدن اللغوي لا يوجد إلا بعد التمدن الاجتماعي فالرقي كل وليس جزء، والمجتمعات العربية إن لم تكن راقية كل الرقي في شكلها فلا بد وأنها كانت راقية في جوهرها، وهذا الرقي وإن لم يكن عاماً في تلك الأقوام إلا أن آثاره ما تزال تعم الملايين من ورثة هؤلاء اليوم.

نبذة عن نشأة اللغة العربية

اللغة العربية إحدى اللغات السامية فعندما خرج الساميون من مهدهم بسبب تكاثر عددهم اختلفت لغتهم الأولى بالاشتقاق والاختلاط، وزاد هذا الاختلاف انقطاع الصلة وتأثير البيئة وتراخي الزمن حتى أصبحت كل لهجة منها لغة مستقلة. والعلماء يردّون اللغات السامية إلى الآرامية والكنعانية والعربية، كما يردون اللغات الآرية إلى اللاتينية واليونانية والسنسكريتية. فالآرامية أصل الكلدانية والأشورية والسيريانية، والكنعانية مصدر العبرانية والفينيقية، والعربية تشمل المضرية الفصحى ولهجات مختلفة تكلمتها قبائل اليمن والحبشة. والراجح في الرأي أن العربية أقرب المصادر الثلاثة إلى اللغة الأم، لأنها بانعزالها عن العالم سلمت مما أصاب غيرها من التطور والتغير تبعاً لأحوال العمران.

وليس في مقدور الباحث اليوم أن يكشف عن أطوار النشأة الأولى للغة العربية؛ لأن التاريخ لم يسايرها إلا وهي في وفرة الشباب والنماء. والنصوص الحجرية التي أُخرجت من بطون الجزيرة لا تزال لندرتها قليلة الغناء؛ وحدوث هذه الأطوار التي أتت على اللغة فوحدت لهجاتها وهذبت كلماتها معلوم بأدلة العقل والنقل، فإن العرب كانوا أميين لا تربطهم تجارة ولا دين، فكان من الطبيعي أن ينشأ من ذلك ومن اختلاف الوضع والارتجال، ومن كثرة الحل والترحال، وتأثير الخلطة والاعتزال، اضطراب في اللغة كالترادف، واختلاف اللهجات في الإبدال والإعلال والبناء والإعراب، وهنات المنطق كعجعجة قضاعة (قلب الياء جيم بعد الياء

مثل "راعي" تلفظ "راعج")، وطمطمانية حمير (جعل أم بدل أل في التعريف مثل "الصيام" تلفظ "أمصيام")، وفحفحة هذيل (جعل الحاء عيناً مثل "أحل" تلفظ "أعل")، وعنعنة تميم (إبدال العين همزة إذا وقعت في أول الكلمة "أمان" تلفظ "عمَان")، وكشكشة أسد (جعل الكاف شيناً مثل "عليك" تلفظ "عليش")، وقُطعة طيئ (وهي حذف آخر حرف في الكلمة مثل "أبا الحسن" تلفظ "أبا الحسا")، وغير ذلك مما باعد بين الألسنة وأوشك أن يقسم اللغة إلى لغات لا يتفاهم أهلها ولا يتقارب أصلها[1].

ولغات العرب على تعددها واختلافها إنما ترجع إلى لغتين أصليتين: لغة الشمال ولغة الجنوب. وبين اللغتين بون بعيد في الإعراب والضمائر وأحوال الاشتقاق والتصريف، حتى قال أبو عمرو بن العلاء:"ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا". على أن اللغتين وإن اختلفتا لم تكن إحداهما بمعزل عن الأخرى، فإن القحطانيين جلوا عن ديارهم بعد سيل العرم وتفرقوا في شمال الجزيرة واستطاعوا بما لهم من قوة، وبما كانوا عليه من رقي، أن يخضعوا العدنانيين لسلطانهم في العراق والشام، كما أخضعوهم من قبل لسلطانهم في اليمن. فكان بين الشعبين اتصال سياسي وتجاري يقرب بين اللغتين في الألفاظ، ويجانس بين اللهجتين في المنطق، دون أن تتغلب إحداهما على الأخرى، لقوة القحطانيين من جهة، ولاعتصام العدنانيين بالصحراء من جهة أخرى، وتطاول الأمد على هذه الحال حتى القرن السادس من الميلاد، فأخذت دولة الحميريين تزول بتغلب الأحباش على اليمن طوراً وتسلط الفرس عليه طوراً آخر. وكان العدنانيون حينئذ على نقيض هؤلاء تتهيأ لهم أسباب النهضة والألفة والوحدة والاستقلال، بفضل الأسواق والحج، ومنافستهم للحميريين والفرس، واختلاطهم بالروم والحبشة من طريق الحرب والتجارة، ففرضوا لغتهم وأدبهم على حمير الذليلة المغلوبة، ثم جاء الإسلام فساعد العوامل المتقدمة على محو اللهجات الجنوبية وذهاب القومية اليمنية، فاندثرت لغة حمير وآدابهم وأخبارهم حتى اليوم.

ولم تتغلب لغات الشمال على لغات الجنوب فحسب، وإنما استطاعت كذلك أن تبرأ مما جنته عليها الأمية والهمجية والبداوة من اضطراب المنطق واختلاف الدلالة وتعدد الوضع، فتغلبت منها لغة قريش على سائر اللغات لأسباب دينية واقتصادية واجتماعية أهمها:

---

(١) انظر: المزهر للسيوطي، فقه اللغة للدكتور/ أحمد قدور، وقد عرف القُطعة بأنها: نوع من الحذف يقرب من الترخيم كقولهم: يا أبا الحكا في: يا أبا الحكم، وهي تنسب إلى طيئ، ولا تزال هذه الظاهرة تتردد في بعض الديار في مصر كبني سويف وشمال مديريتي الغربية والبحيرة.

١ - **الأســواق:** وكان العرب يقيمونها في أشهر السنة للبيع والتسوُّق وينتقلون من بعضها إلى بعض، فتدعوهم طبيعة الاجتماع إلى المقارضة بالقول، والمفاوضة في الرأي، والمبادهة بالشعر، والمباهاة بالفصاحة، والمفاخرة بالمحامد وشرف الأصل فكان من ذلك للعــرب معونة على توحيد اللسان والعادة والدين والخلق، إذا كان الشــاعر أو الخطيــب إنمــا يتوخى الألفاظ العامة والأساليب الشائعة قصداً إلى إفهام سامعيه، وطمعــاً فــي تكثيــر مشايعيه. والرواة من ورائه يطيرون شعره في القبائل وينشرونه في الأنحاء فتنتشر معه لهجته وطريقته وفكرته. وأشهر هذه الأسواق عكاظ ومجنة وذو المجاز. وعكاظ أشــهر فضلاً وأقوى أثراً في تهذيب العربية. كانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمر إلى العشــرين منه، فتفد إليها زعماء العرب وأمراء القول للمتاجرة والمنافرة ومفــاداة الأســرى وأداء الحج وكان كل شريف إنما يحضر سوق ناحيته إلا عكاظ فإنهم كانوا يتوافدون إليها من كل فج، لأنها متوجههم إلى الحج، ولأنها تقام في الأشهر الحرم، وذلك ولا ريــب ســر قوتها وسبب شهرتها. وكان مرجعهم في الفصل بينهم إلــى محكمــين اتفقــوا علــيهم وخضعوا لهم فكانوا يحكمون لمن وضح بيانه وفصح لسانه.

٢ - **أثر مكة وعمل قريش:** كان لمكة أثر بالغ في وحدة اللغة العربية ونهضة العرب؛ لأنهــا كانت في النصف الثاني من القرن السادس محطاً للقوافل الآتية من الجنوب تحمل السلع التواجر من الهند واليمن فيبتاعها المكّيون ويصرِّفونها في أسواق الشام ومصر. وكانــت أجواء مكة التجارية آمنة لحرمة البيت ومكانة قريش، فكان تجّارهم يخرجون بقــوافلهم آمنين، فينــزلون الأسواق ويهبطون الآفاق فيستفيدون بسطة في العلم، وقوة في الفهــم، وثروة في المال، وخبرة بأمور الحياة: وهي مع ذلك متْجَرة للعرب ومثابة للناس يــأتون إليها من كل فج عميق رجالاً وعلى كل ضامر ليقضوا مناسكهم ويشتروا مرافقهم ممــا تنتجه أو تجلبه. ذلك أن قريشاً: أهلها وأمراءها كانوا لمكانتهم من الحضارة وزعــامتهم في الحج، ورياستهم في عكاظ، وإيلافهم رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصــيف إلــى حوران أشد الناس بالقبائل ارتباطاً، وأكثرهم بالشعوب اختلاطاً. كانوا يختلطون بالحبشة في الجنوب، وبالفرس في الشرق، وبالروم في الشمال. ثم كانوا على أثارة مــن العلــم بالكتب المنزلة: باليهودية في يثرب وما جاورها من أرض خيبر وتيماء، وبالنصــرانية في الشام ونجران والحيرة؛ فتهيأت لهم بذلك الوسائل لثقافة اللسان والفكر. ثــم ســمعوا المناطق المختلفة، وتدبروا المعاني الجديدة، ونقلوا الألفاظ المستحدثة، واختــاروا لغــتهم

من أفصح اللغات فكانت أعذبها لفظاً، وأبلغها أسلوباً، وأوسعها مادة، ثم أخذ الشعراء يؤثرونها وينشرونها حتى نزل بها القرآن الكريم فأتم لها الذيوع والغلبة[1].

الأدب العربي

إن أدب أية أمة هو ما أُثر عن شعرائها وكتّابها وجادت به قرائحهم من بديع القول والكتابة والمشتمل على تصوّر الأخيلة الدقيقة وتصوير المعاني الرقيقة، مما يهذّب النفوس ويرقق الأحاسيس والمشاعر ويثقّف اللسان ويصقل المعرفة. وقد يطلق الأدب على جميع ماصُنِّف في كل لغة من البحوث العلمية والفنون الأدبية، فينضوي تحت ذلك كل ما أنتجته عقول العلماء وسكبته خواطر الكتّاب والشعراء.

فالأدب العربي من أغنى الآداب وأقدمها جميعاً، فما كانت اللغة العربية بعد الإسلام لغة أمة واحدة، إنما كانت لغة جميع الشعوب التي دخلت في دين الله أو كنفه، وأودعوها معانيهم وتصوّراتهم وأفضوا إليها بأسرار لغاته، ثم جابت أقطار الأرض تحمل الدين والحضارة والعلم، فصرعت كل لغة نازلتها ووسعت علوم الأولين وآداب الأقدمين، من يونان وروماان وفرس وهنود، واستمسكت على عَرك الخطوب تلك القرون الطويلة، فشهدت مصارع اللغات حولها وهي مرفوعة الرأس رابطة الجأش ترث نتاج القرائح وثمار العقول من كل أدب وملّة، فكانت لغات الأمم وثقافاتها كالجداول تتشعّب ثم تصب في معين واحد وهو اللغة العربية.

عصور الأدب العربي

إن لتاريخ الأدب الأثر الأهم في حياة الأمة، ذلك أن المحافظة على اللغة وما فيها من ثمار العقل والقلب أحد الأسباب التي تبني عليها الشعوب وحدتها ومجدها وفخرها. وتاريخ الأدب هو البحث عن أحوال اللغة وما أنتجته قرائح أبنائها من بليغ الشعر والنثر في مختلف العصور، وعما صادفها من أسباب الصعود والهبوط، وهو علم يُعنى بتاريخ النابهين من أهل الكتابة ونقد مؤلفاتهم وبيان تأثير بعضهم في بعض بالفكرة والصناعة والأسلوب. وتاريخ الأدب

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي– العصر الإسلامي، د/ شوقي ضيف ص٣١، دار المعارف بمصر ط٢٠، ٢٠٠٢م.

وصف مسلسل تاريخيّا لما نقش على حجر أو سُطِّر في الرقاع أو دُوِّن في الكتب تعبيــراً عــن فكرة أو عاطفة ما، أو تعليماً لعلم أو فن، أو تخليداً لحادثة أو واقعة - إنه بحق - وعــاء الأمــة وسجل حضارتها.

والتاريخ الأدبي وثيق الصلة بالتاريخ السياسي والاجتماعي لكل أمة، وكلاهما مؤثر فــي الآخر ممهد له، فكل ثورة سياسية أو نهضة اجتماعية إنما تُعِدّها وتمهّد لها ثورة فكريــة تظهــر على ألسنة الأدباء والعلماء لقوة الإحساس فيهم، ثم ينتقل تأثرهم وتطوّرهم إلــى ســائر النــاس فتكون الثورة أو النهضة.

ويمكن تقسيم الأدب العربي إلى خمس فترات وذلك حسب ما مرّت به الأمة العربية من التقلبات السياسية والاجتماعية، وبالتالي الفكرية والأدبية:

١ - **العصر الجاهلي أو ماقبل الإسلام:** ويبدأ من منتصف القرن الخامس للمــيلاد، وينتهــي بظهور الإسلام (٦٢٢م).

٢ - **عصر صدر الإسلام** (عصر الرسول والخلفاء الراشدين): ويبدأ مــن ظهــور الإســلام (٦٢٢م) إلى وفاة رابع الخلفاء الراشدين وتسلّم أول ملوك بني أميّة زمام الحكــم ســنة ٤١هــ.

٣ - **العصر الأموي** (العصر الذي حكم فيه بنو أمية الأمة الإسلامية وكــان مركــز الحكــم دمشق، عاصمة سورية اليوم) وفيه تكوّنت الأمة الإسلامية وتمــت فتوحاتهــا، ويمكــن تقسيمه إلى قسمين:

في الشرق: ٤١ هــ إلى تاريخ سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢ هــ.

في الغرب: وهي الدولة التي تأسست في المغرب العربي والأندلس (مــن ١٣٨ هـــــ- ٤٢٠هــ).

٤ - **العصر العبّاسي:** ويبدأ بقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هــ إلى سنة ٦٥٦ هــ.

٥ - **العصر المغولي (عصر الدول والإمارات):** وهو من سنة ٦٥٦ هــ إلى سنة ٨٥٧ هــ.

٦ - **العصر المملوكي:** وهو من سنة ٦٥٦هــ إلى سنة ٩٢٣هــ.

٧ - **العصر العثماني:** ويبدأ من سنة ٩٢٣هــ إلى سقوط الخلافة العثمانية سنة ١٢٢٠ هــ.

٨ - **العصر الحديث:** ويبدأ من سقوط الخلافة العثمانية ١٢٢٠ هــ ويمتد إلى وقتنا الحاضر.

الفصل الأول

أبيات أعقبتها عقوبة

أوس بن حجر يحرض على بني حنيفة

قال أوس بن حجر يغري النعمان بن المنذر ببني حنيفة؛ لأن شمر بن عمرو السحيمي قتل المنذر، وهو حينئذ مع الحارث بن أبي الغساني، وقال ابن جني:
إنما قتل ابن النعمان:

نبّئتُ أن بني حنيفة أدخلوا   أبياتهم تامور قلب المنذر

ويروى (أن بني سحيم) فغزاهم النعمان، وقتل فيهم وسبى، وأحرق نخلهم، ويقال: إنما أغرى بهم عمرو بن هند.

النعمان بن المنذر يهدر دم النابغة الذبياني (توفي ١٨ ق هـ/٦٠٤ م)

النابغة الذبياني هو زياد بن معاوية من بني غطَفان، وهو أحد أشهر ثلاثة شعراء في العصر الجاهلي (مع امرئ لقيس وزهير بن أبي سلمى) وربما كان النابغة أحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام وأجزلهم بيتاً، فقد كان شعره كلاماً ليس فيه تكلُف. ولقّب بـ"النابغة" بعدما "احتنك وهلَكَ قبل أن يُهْتَرَ"، أي أنه مكث دهراً لايقول الشِّعر؛ وربما لقوله: "فقد نبغت لنا منهم شؤون"، وكان النابغة تُضرب له قُبّة حمراء من أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان يكنّى "أبا أمامة" و"أبا ثُمامة"كان مع النعمان بن المنذر ومع أبيه وجدّه وكانوا له مُكرمين. ثم إن النعمان بُلّغ عنه شيئاً فأهدر دمه والسبب الحقيقي غير معروف ولكن أغلب الظن أنه بسبب قصيدته التي وصف فيها المتجرّدة زوجة النعمان (انظر القصيدة المرفقة). وفي القصيدة يصف النابغة جسد المتجردة بشكل مفصّل. وكان للنعمان نديم وشاعر آخر هو المُنَخّل اليَشكُري يُتّهم بالمتجردة وكان يُظَن بأولاد النعمان منها أنهم منه، وكان المُنَخّل جميلاً وكان النعمان قصيراً دميماً فلمّا سمع المُنَخّل هذه القصيدة قال للنعمان: "ما يستطيع أن يقول مثل هذا الشعر إلا من قد جرّب!" فوقر ذلك في نفس النعمان فأهدر دمه[١].

(١) انظر: الشعر والشعراء ١٥٧/٢ وما بعدها.

وقيل: كان النابغة قريباً من النعمان بن المنذر، وكان ينادمه ويكرمه النعمان ثم إن النعمان بُلّغ عنه شيئاً فنذر دمه، فسار النابغة إلى ملوك غسان، وقيل إنه غضب عليه بسبب هجائه له في قوله:

قبّح الله ثم ثنى بلعن ... وارثَ الصائغ الجبانَ الجهولاَ

من يَضُرُّ الأدنى ويعجز عن ضـ ... ـر الأقاصي ومن يخون الخليلا

يجمع الحبيس ذي الألوف ويغزو ... ثم لا يرزأ العدوّ فتيلا

ووارث الصائغ هو النعمان، وكان الصائغ جد النعمان، وأمه سلمى بنته.

ويقال: كان السبب في مفارقته إياه ومصيره إلى غسان أن النعمان قال له وعنده المتجردة امرأته: صفها لي في شعرك يا أبا أمامة! فقال قصيدته التي أولها:

آمن آل مية رائح أو مغتد ... عجلان زاد وغير مزود

فوصف فيها كل شيء، وكان للنعمان نديم يقال له المنخل اليشكري يهتم بالمتجردة، فألب النعمان على النابغة فخاف النابغة وهرب إلى غسان فصار فيهم.

قال النابغة من المعلقة في وصف المتجردة:

نظرت بمقلة شادنٍ متربب ... أحوى أحم المقلتين مقلّد

والنّظم في سلك يزيّن نحرها ... ذَهبٌ توقّدُ كالشهاب الموقد

صفراء كالسِّيراء أكملَ خَلْقُها ... كالغصن في غلوائه المتأوّد

والبطنُ ذو عُكَنٍ لطيفُ طيّه ... والإتبُ تَنفُجُه بثدي مُقعد

محطوطة المتنين غير مُفاضة ... ريّا الروادف بَضّةُ المتَجرِّد

قامت تراءى بين سجفي كلّة ... كالشمس يوم طلوعها بالأسعد

أو دُرّة صدفيّة غوّاصها ... بَهجٌ متى يرها يُهِلُّ ويَسْجُدِ

أو دُمية من مرمر مرفوعة ... بنيت بآجرٍّ تُشادُ وقَرْمَدِ

سقط النَّصيف ولم ترد إسقاطَه ... فتناولته واتّقتنا باليد

بمُخضّبٍ رخصٍ كأن بنانَهُ ... عنمٌ يكاد من اللَّطافة يُعقد

نظرت إليك بحاجة لم تقْضها ... نظر السقيمِ إلى وجوه العُوّد

تجلو بقادمتي حمامةِ أيكةٍ ... برداً أُسِفَّ لثاثهُ بالأثمد

كـــالأقحوان غـــداةَ غِـــبّ ســـمائِه — جَفّــت أعاليْـــهِ وأســـفَلُهُ نـــدي
أخـــذ العـــذارى عِقـــدها فنظمنـــه — مـــن لؤلـــؤٍ متتَـــابعٍ متَســـرّد
لـــو أنهـــا عرضـــت لأشـــمط راهـــبٍ — عبـــد الإلـــه صـــرورةَ متعبِّـــد
لرنـــا لبهجتهـــا وحســـن حـــديثها — ولَخَالَـــهُ رُشـــداً وإن لـــم يرْشُـــد
بـــتكلُّمٍ لـــو تســـتطيعُ ســـماعَهُ — لَـــدنت لـــه أروى الهضـــاب الصُّـــخَّدِ
وبفـــاحمٍ رَجْـــلٍ أثيـــثٍ نَبْتُـــهُ — كـــالكَرمِ مـــال علـــى الـــدِّعامِ المُسْـــنَد

فهذا الوصف الدقيق كان سبباً في غضب النعمان على النابغة فأهدر دمه، وفر الذابغة إلى آل غسان وصار فيهم، وظل بخوفه وتهدده حتى اعتذر للنعمان بعدة قصائد رائعة فعفا عنه النعمان.

طرفة بن العبد والمتلمس بن عبد العزى

كانا ينادمان الملك عمرو بن هند ملك الحيرة، فهجواه، فكتب إلى عامله بالبحرين ليقتلهما، فنجا المتلمس وقتل طرفة.

وكان طرفة قد هجا الملك عمرو بقوله:

فليـــت لنـــا مكـــان الملـــك عمـــرو — رغوثـــا حـــول قبّتهـــا تخـــور
لعمـــرك إن قـــابوس بـــن هنـــد — لـــيخلط ملكـــه نُـــوكٌ كثيـــر

وقيل كان ينادم عمرو بن هند فأشرفت أخته ذات يوم فرأى طرفة ظلها في الكأس في يده، فقال:

ألا يـــــا بـــــأبي الظبـــــي — الـــــذي يبـــــرق شـــــنفاه
ولـــــولا الملـــــك القاعـــــد — قـــــد ألثمنـــــي فـــــاه

فحقد عليه وكتب إلى عامله بالبحرين كتابا أوهم فيه طرفة أنه أمر له بجائزة وفي الحقيقة أنه أمر فيه بقتله، فقتله عامله، ودفنه بالبحرين[1].

---

(١) الشعر والشعراء ١٨٦/١، ديوان المتلمس. ونرى أن عمرو بن هند كان على حق في غضبته على طرفة، انتقاماً لكرامته من الهجاء، أو على الرأي الثاني، حفاظاً على شرفه لأن طرفة لم يراع حق المجلس والضيافة من غض الطرف.

المرقــش الأكــبــر

هو ربيعة بن سعد بن مالك، أحد عشاق العرب المتهورين، وصاحبته أسماء بنت عوف ابنة عمه.

زوَّج عمه أسماء لرجل وهو غائب، فلما عاد وعلم بذلك، فخرج يريدها، ومعه أجير من "غُفيلة" فمرض المرقش في الطريق، فتركه الغفيلي في غار، وذهب إلى أهل المرقس، وأخبرهم أنه مات، ولكن المرقش كان قد كتب أبياتاً على خشب الرحل الذي يركبه الغفيلي، فقرأ أهله الأبيات فضربوا الغفيلي حتى أقر بفعلته. وكان المرقش يكتب بالحميرية، والأبيات هي[1]:

يا راكبــاً إمــا عرضــت فــبلغن	أنس بن عمــرو حيــث كــان وحــرملا
لله دركمــــــا ودر أبيكمــــــا	إن أفلـــت الغفلــــي حتـــى يقـــتلا
مــن مبلـــغ الفتيـــان أن مرقشــاً	أضحى علــى الأصــحاب عبــأ مــثقلا
ذهــب الســباع بأنفـــه فتركنـــه	ينهشـــن منـــه فـــي القفـــار مجـــدلاً
وكأنمـــا تـــرد الســـباع بشـــلوه	إذا غــاب جمــع بنــي ضــبيعة مــنهلا

والشاعر هنا قد رثى نفسه، كما فعل غيره من الشعراء مثل: مالك بن الريــب، وهاشــم الرفاعي في العصر الحديث، كما أن القصة تؤكد أن كثيراً من شعراء الجاهلية كــانوا يعرفــون الكتابة ويمارسونها في إثبات أشعارهم.

كــعــب بن زهــيــر

أسلم بجير بن زهير بن أبي سلمى وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فكتب إليه كعب:

ألا أبلغــا عنــي بجيــراً رســالة	فهل لك فيما مكــت بــالخيف هــل لكــا
ســقيت بكــأس عنــد آل محمــد	فأنهلـــك المـــأمون منهـــا وعلكـــا
فخالفــت أســباب الهــدى وتبعتــه	علــى أي شـــيء ويــب غيــرك دلكــا

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره هذا، فتوعده ونذر دمه[2]. وسيأتي الحديث عن عفو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كعب في الفصل الثاني.

(١) الشعر والشعراء ٢١٠/١ ، ٢١١.
(٢) المصدر نفسه ١٤١/١ ، ١٤٢، سيرة ابن هشام.

الأعشى وعلقمة بن علاثة

قال الأعشى في علقمة بن علاثة:

علقمة ما أنت إلى عامر	الناقصين الأوتار والسواترِ

فنذر علقمة دمه[1].

عمرو بن كلثوم (توفي ٤٠ ق هـ/٥٨٤ م):

عمرو بن كلثوم هو من بني تَغْلِب من بني عتّاب، وهو قاتل عمرو بن هند ملك الحيرة. شاعر وفارس ولد وترعرع في بيت عز ومجد وجاه وشرف، فأمه هي ليلى بنت المهلهل وأبوه كلثوم من مشاهير العرب في الرياسة والسيادة.

ومن أشهر شعره معلقته "ألا هبّي بصحنك فاصبحينا" (القصيدة المرفقة) وقد أنشدها في سوق عكاظ، وكان ذلك أمام الملك عمرو بن هند. وهو يشيد في قصيدته بقومه ويبالغ في مدحهم، وأنهم أعزّة لا يستطيع أحد أن يلحق بهم أذىً أو ضيماً. وقد سارت بها الركبان، وبلغ من إعجاب تغلب بها وتعظيمهم لها أن صغار القبيلة كانوا يرددونها صباح مساء. وغرض المعلّقة الفخر وإظهار القوة والشجاعة والعزة والرياسة والسيادة لقبيلة تغلب على قبيلة بَكْر. وفي هذه القصيدة يحذّر الشاعر الملك عمرو بن هند من أي انحياز إلى جانب البكريين، وأن الأولى له تقريب بني تغلب وإبعاد بني بَكْر حتى لا يتعرّض لغضب قومه وجبروتهم([2]).

والمعلقة تبدأ بوصف الخمر ومدى تأثيرها على شاربيها (وهذا مالم يفعله أحد من أصحاب المعلقات الذين كانوا يستهلون مطالعهم بالوقوف على الأطلال)، فقال:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا	ولا تبقي خمور الأندرينا
مشعشعة كأن الحص فيها	إذا ما الماء خالطها سخينا

ثم انتقل إلى الغزل؛ وبعد ذلك انتقل إلى الحديث عن عمرو بن هند الملك وما كان لقومه معه من مواقف بطولية عظيمة، وأخذ يسرد بعض الفضائل ويفخر بقومِه وما كان عندهم من شجاعة وإقدام وإخلاص في الحروب ومعامع القتال.

(١) الشعر والشعراء ٢٦٠/١ وستأتي في الفصل الثاني في أبيات أعقبها عفو.

(٢) انظر: ترجمة عمرو بن كلثوم في ديوانه، الشعر والشعراء ٢٣٤/١ : ٢٣٦ وغيرها.

ويقول عمرو بن كلثوم مفاخراً و هو يخاطب الملك عمرو بن هند:

أبا هند فلا تعجل علينا ... و أنظرنا نخبرك اليقينا

بأنا نوردُ الرايات بيضاً ... و نصدرْهُن حُمرا قد روينا

....

ورثنا المجد قد علمت معدٌ ... نطاعنُ دونهُ حتى يبينا

و نحنُ إذا عمادُ الحي خرت ... عن الأحفاض نمنعُ من يلينا

نجذُ رؤوسهم في غير بر ... فما يدرون ماذا يتقونا

كأن سُيُوفنا منا و منهُم ... مخاريقٌ بأيدي لاعبينا

كأن ثيابنا منا و منهُم ... خُضبن بأُرجوانٍ أوطلينا

إذا ماعي بالأسناف حيٌ ... من الهول المشبه أن يكونا

نصبنا مثل رهوة ذات حد ... ... محافظةً و كنا السابقينا

بُشبانٍ يرون القتل مجداً ... و شيب في الحروب مُجربينا

حُديا الناس كلهم جميعاً ... مُقارعةً بنيهم عن بنينا

....

ألا لا يعلمُ الأقوامُ أنا ... تضعضعنا و أنا قد ونينا

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

....

متى نعقد قرينتنا بحبل ... تجذ الحبل أو تقص القرينا

و نوجدُ نحنُ أمنعهُم ذماراً ... و أوفاهُم إذا عقدُوا يمينا

و نحن غداة أُوقد في خزارى ... رفدنا فوق رفد الرافدينا

و نحنُ الحابسُون بذي أراطى ... تسفُ الجلةُ الخُوار الدرينا

و نحنُ الحاكمُون إذا أُطعنا ... و نحنُ العازمُون إذا عُصينا

و نحنُ التاركون لما سخطنا ... و نحنُ الآخذُون لما رضينا

و كُنا الأيمنين إذا التقينا ... و كان الأيسرين بنُو أبينا

فصالُوا صولةً فيمن يليهم ... و صُلنا صولةً فيمن يلينا

فآبُوا بالنهاب و بالسبايا ... و أبنا بالمُلوك مُصفدينا

إليكُم يا بني بكرٍ إليكُم ... كتائب يطعن ويرتمينا

علينا البيضُ و اليلبُ اليماني ... و أسيافٌ يقُمن وينحنينا

علينا كُلُّ سابغةٍ دلاصٍ   ترى فوق النطاق لها غُضُونا
إذا وُضعت عن الأبطال يوماً   رأيت لها جلود القوم جُونا
كأنّ غُضُونهُن متونُ غدرٍ   تُصفقُها الرياحُ إذا جرينا
و تحملُنا غداة الروع جُردٌ   عُرفن لنا نفائذ و افتُلينا
و ردن دوارعاً و خرجن شُعثاً   كأمثال الرصائع قد بلينا
و رثناهُن عن آباء صدقٍ   و نُورثُها إذا مُتنا بنينا
على آثارنا بيضٌ حسانٌ   تُحاذرُ أن تقسم أو تهُونا
أخذن على بُعُولتهن عهداً   إذا لاقوا كتائب مُعلمينا
ليستلبُن أفراساً و بيضاً   و أُسرى في الحديد مُقرنينا
ترانا بارزين و كلُّ حيٍ   قد اتخذوا مخافتنا قرينا
إذا ما رُحنا يمشين الهُوينى   كما اضطربت مُتُونُ الشاربينا
يقُتن جيادنا و يقُلن لستُم   بُعُولتنا إذا لم تمنعونا
ظعائن من بني جُشمٍ بن بكرٍ   خلطن بميسم حسباً ودينا
و ما منع الظعائن مثلُ ضربٍ   ترى منهُ السواعد كالقلينا
كأنا و السُيُوف مُسللاتٌ   ولدنا الناس طُراً أجمعينا
يُدهدون الرُؤوس كما تُدهدي   حزاورةٌ بأبطحها الكُرينا
و قد علم القبائلُ من معدٍ   إذا قُببٌ بأبطحها بنينا
بأنا المطعمُون إذا قدرنا   و أنا المُهلكون إذا ابتُلينا
و أنا المانعوُن لما أردنا   و أنا النازلون بحيثُ شينا
و أنا التاركون إذا سخطنا   و أنا الآخذون إذا رضينا
و أنا العاصمون إذا أُطعنا   و أنا العازمون إذا عُصينا
و نشربُ إن وردنا الماء صفواً   و يشربُ غيرُنا كدراً وطينا
ألا أبلغ بني الطماح عنا   و دُعمياً فكيف وجد يمُونا
إذا ما الملكُ سام الناس خسفاً   أبينا أن نُقر الذل فينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا   وماءُ البحر نملؤه سفينا
إذا بلغ الفطام لنا صبيٌ   تخرُ لهُ الجبابرُ ساجدينا

فعمرو بن كلثوم قتل عمرو بن هند؛ لإهانته أمه في بيته في إحدى زياراته له.

هـنـد بنت الخُـس

هي هند بنت الخُسّ بن حابس بن قريط الإيادية، وتلقب بالزّرقاء. كانت ذات فصاحة وحكمة وجواب عجيب، وصفها الجاحظ في **البيان والتبيين** بقوله:"ومن أهل اللسان واللقن والجواب العجيب والكلام الفصيح والأمثال السائرة والمخارج العجيبة". قال البغدادي في **خزانة الأدب**: هي جاهلية قديمة، أدركت الفلمس، أحد حكام العرب في الجاهلية، وتحاكمت هي وأختها في كلام لهما، ومدحته بأبيات ... قيل لها يوماً: "من أحب الرجال إليك؟"

قالت: السهل النجيب، السمح المسيب، الندب الأريب، السيد المهيب".

قيل لها: "فهل بقي من الرجال أفضل من هذا؟"

فقالت: "نعم! الأهيف الهفهاف، الأنف العياف، المفيد المتلاف، الذي يخيف ولا يخاف". قيل لها: "فأي الرجال أبغض إليك؟"

قالت: الأوره النؤوم، الوكل السؤوم، الضعيف الحيزوم، اللئيم الملوم".

قيل: "فهل بقي أحد شر من هذا؟"

قالت: "نعم! الأحمق النزاع، الضائع المضاع، الذي لا يهاب ولا يطاع".

قالوا: "فأي النساء أحب إليك؟"

قالت: "البيضاء العطرة، كأنها ليلة قمرة."

فقيل لها: "فأي النساء أبغض إليك؟"

قالت: "العنفص القصيرة، التي إن استنطقتها سكتت، وإن سكت عنها نطقت".

وقيل لها: "ألا تتزوجين؟"

فقالت: "بلى، لا أريده أخا فلان ولا ابن فلان، ولا الظريف المتظرف ولا السمين الألحم، ولكن أريده كسوباً إذا غدا، ضحوكاً إذا أتى".

وقال لها أبوها مرة: "أريد شراء فحل لأبلي".

فقالت: "إن اشتريته فاشتره أسجح الخدين، غائر العينين، أرقب أحزم أعكى أكوم، إن عصي غشم وإن أطيع تجرثم".

ومن أجمل أشعارها قولها:

وجدت وخير القول في الحكم نافع ... ذوي الطول مما قد يُغَمُّ ويُلْبَسُ

وليس الفتى عندي بشيء أعُدُّه ... إذا كان ذا مالٍ من العقل مفلس

وذو الجبن مما يسعر الحرب نفخُهُ ... يهيِّج منها نارها ثم يخنس

وكم من كثير المال يقبض كفَّه ... وكم من قليل المال يعطي ويسلِس

وكـــم مـــن صـــغير تزدريـــه لعلَّـــه
يهـــيجُ كبيـــراً شـــرُّه متـــبجس

وكم مـــن مـــراء ذي صـــلاح وعفَّـــة
يخاتل بـــالتقوى هـــو الـــذئب الأملـــس

وآخـــر ذي طِمـــرين صـــاحب نيَّـــة
يجـــود بأعمـــال التُّقـــى ثـــم يـــنفَس

وكـــم مـــن ســـفيه للجماعـــة مفســـد
يـــدبُّ لشـــر بيـــنهم ويوســـوس

وذو الظُّلْمِ مذمومُ النَّثـــا ظـــاهرُ الخنـــا
غني عـــن الحســـنى وبالشـــر يُعـــرِس

وقالت أيضاً:

لقد أيقنـــت نفـــس الفتـــى غيـــر باطـــل
وإن عـــاش حينـــاً أنـــه ســـوف يهلـــكُ

ويشـــرب بالكـــأس الـــذُّعاف شـــرابُها
ويركب حـــدَّ المـــوت كَرهـــاً ويســـلُك

وكـــم مـــن أخـــي دنيـــا يثمِّـــر مالَـــه
ســـيورثُ ذاك المـــال رَغمـــاً ويتـــرُك

عليـــك بأفعـــال الكـــرام وليـــنهم
ولا تـــكُ مشْكاســـاً تَلـــجُ وتَمْحُـــك

ولا تـــك مزاحـــاً لـــدى القـــوم لُعْبَـــةً
تظـــلُّ أخـــا هُـــزْءٍ بنفســـك يَضْـــحَك

تخـــوضُ بجهـــلٍ ســـادراً فـــي فكاهـــة
وتـــدخُلُ فـــي غـــي الغُـــواة وتَشْـــرَك

ألا ربَّ ذي حـــــظٍّ يُبَصَّـــــرُ فعلَـــــهُ
وآخَ مصـــروفٌ بـــه الحـــظُّ يُؤفَـــك[1]

من أشهر أيام العرب: حرب البسوس

وفارس هذا اليوم كليب بن ربيعة. الذي ضُرب به المثل، قالت العرب: "أعز من كليب وائل"، وكان فارساً مغواراً ورجلاً شجاعاً ولكنه كان جبّاراً متكبراً. بلغ من بغيه وظلمه أنه كان يحمي مواقع السحاب، فلا يرعى أحد في حماه، ولا تُوقد نار مع ناره، ولا ترعى إبل مع إبله وظل هذا زمناً إلى أن قتل بما قدمت يداه.

أما كيف قتل، فقد كان بنو جُشم (بطن في تغلب وهم قوم كليب) وبنو شيبان (بطن في بكر وهم قوم جسّاس) في دار واحدة في تهامة، وكان كليب قد تزوج جليلة بنت مرة بن ذهل بن شيبان، أخت جساس بن مُرّة، وكانت البسوس بنت مُنقذ التميمي (خالة جساس وبها تقول العرب: "أشأم من البسوس") نازلة في بني شيبان مجاورة لجساس، وكانت لها ناقة يقال لها سراب فمرت إبل كليب بسراب ناقة البسوس وهي معقولة بفناء بيت البسوس، فلما رأت سراب الإبل نازعت عقالها حتى قطعته، وتبعت الإبل واختلطت بها حتى انتهت إلى كليب وهو على

(١) شاعرات العرب ص٤٥٨ : ٤٦١.

الحوض معه قوس وكنانة. فلما رآها أنكرها، فانتزع لها سهماً، فخرم ضرعها، فنفرت الناقة وهي ترغو. فلما رأتها البسوس قذفت خمارها عن رأسها وصاحت: "واذلاه! واجاراه!" وخرجت فأحمست جساساً. فركب فرساً له، وأخذ آلته، وتبعه عمرو بن الحارث بن بن ذهل بن شيبان على فرسه ومعه رمحه، حتى دخلا على كليب الحمى، فقال له: "يا أبا الماجدة، عمدت إلى ناقة خالتي فعقرتها". فقال كليب: "أتراك مانعي أن أذب عن حماي؟" فأحمسه الغضب، فطعنه جساس فقصم صلبه، وطعنه عمرو بن الحارث من خلفه فقطع بطنه فوقع كليب قتيلاً.

ولما قتل كليب اجتمع نساء الحي للمأتم، فقلن لأخت كليب: "رحلي جليلة (أرملة كليب وأخت جساس) عن مأتمك فإن قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب"، فقالت لها: "يا هذه اخرجي عن مأتمنا، فأنت أختُ واترنا وشقيقة قاتلنا"، فخرجت وهي تجر أعطافها؛ فقالت لها أخت كليب: "رحلة المعتدي وفراق الشامت، ويل غداً لآل مرة، من الكرة بعد الكرة!" فبلغ قولها جليلة فقالت: "وكيف تشمت الحرة بهتك سترها، وترقب وترها! أسعد الله جد أختي، أفلا قالت: نفرة الحياء وخوف الأعتداء؟" ثم أنشأت تقول:

يابنة الأقوام إن شئت فلا ... تعجلي باللوم حتى تسألي
فإذا أنت تبنيت الذي ... يوجب اللوم فلومي واعذلي
إن تكن أخت امرئ ليمت على ... شفق منها عليه فافعلى
جل عندي فعل جساس فيا ... حسرتي عما انجلت أو تنجلي
فعل جساس على وجدي به ... قاطع ظهري ومدن أجلي
لو بعين فقئت عيني سوى ... أختها فانفقأت لم أحفل
تحمل العين قذى العين كما ... تحمل الأم أذى ما تفتلى
يا قتيلا قوض الدهر به ... سقف بيتي جميعاً من عل
هدم البيت الذي استحدثته ... وانثنى في هدم البيت الأول
ورماني قتله من كثب ... رمية المصمى به المستأصل
يانسائي دونكن اليوم قد ... خصني الدهر برزء معضل
خصني قتل كليب بلظى ... من ورائي ولظى مستقبل
ليس من يبكي ليومين كمن ... إنما يبكي ليوم ينجلي
يشتفى المدرك بالثأر وفي ... دركي ثأري ثكل المثكل
ليته كان دمي فاحتلبوا ... بدلاً منه دماً من أكحلي
إنني قاتلة مقتولة ... ولعل الله يرتاح لي

وقالت بعد ذهابها إلى دار أهلها، وهي في الطريق:

يا عينُ فابكي فإن الشر قد لاحاً ... وأَسبلي دمعك المخزون سفَّاحا

هذا كليبٌ على الرمضاء منجدلٌ ... بين الخزامى علاه اليوم أرماحا

والتَّغلبيُّون قد قاموا بنصرته ... وكنتم وجلال الله أوقاحا

قد كان تاجاً عليهم في محافلهم ... وكان ليث وغى للقِرنِ طراحا

وقالت عندما وصلت إلى بيت أهلها:

إذا الخيل سارت بعد صلح صدورها ... وخُوّف ابنا وائل وعشيرُها

تقطعت الأرحام منهم وبُدّلت ... ضغائنَ حقدِ بعد وُد صُدورُها

تبدد شملُ الحي بعد اجتماعه ... وغادرنا من بعد هتْك سُتورُها

فهاكم حريق النار تُبدي شرارَها ... فيقدح في كل البلاد سعيرها

فقوموا وداروا ما استطعتم وادفعوا ... عسى يقشع الإظلام عنكم نورها

ولما ذهبت جليلة إلى أبيها مُرّة قال لها: "ما وراءك يا جليلة؟" فقالت: "ثكل العدد، وحزن الأبد، وفقد حليل، وقتل أخ عن قليل، وبين ذين غرس الأحقاد، وتفتت الأكباد"، فقال لها: "أويكف ذلك عن كرم الصفح وإغلاء الديات؟" فقالت: "أمنية مخدوع ورب الكعبة! أبا لبدن تدع لك تغلب دم ربها!" ثم أن بني شيبان ارتحلت حتى نزلوا بماء يقال له النِّهى ودارت بين القبيلتين حرب استمرت زهاءَ من أربعين سنة.

قصة كعب بن زهير مع النبي صلى الله عليه وسلم

وكانت فيما بين رجوعه من الطائف وغزوة تبوك.

قال ابن إسحاق : ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف كتب بجيـر بـن زهير إلى أخيه كعب يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه وأن من بقي من شعراء قريش ابن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقتل أحدا جـاءه تائبا مسلما وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك وكان كعب قد قال:

ألا أبلغـا عنـي بجيـرا رسـالة	فهل لك فيما قلت ويحك هـل لكـا
فبين لنا إن كنـت لسـت بفاعـل	على أي شيء غيـر ذلـك دلكـا
على خلق لم تلـف أمـا ولا أبـا	عليه ولم تدرك عليـه أخـا لكـا
فإن أنت لم تفعـل فلسـت بآسـف	ولا قائل إمـا عثـرت لعـا لكـا
سقاك بها المـأمون كأسـا رويـة	فأنهلـك المـأمون منهـا وعلكـا

قال وبعث بها إلى بجير فلما أتت بجيرا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسـلم فأنشده إياها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "سقاك المأمون صدق وإنه لكذوب أنا المـأمون ولما سمع على خلق لم تلف أما ولا أبا عليه " فقال أجل . قال لم يلف عليه أباه ولا أمه، ثم قـال بجير لكعب:

من مبلغ كعبا فهل لـك فـي التـي	تلوم عليها باطلا وهـي أحـزم
إلى الله لا العزى ولا اللات وحـده	فتنجو إذا كـان النجـاء وتسـلم
لدى يوم لا ينجـو ولـيس بمفلـت	من الناس إلا طاهر القلب مسـلم
فدين زهير وهـو لا شـيء دينـه	ودين أبي سلمى علـي محـرم

فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف بـه مـن كـان فـي حاضره من عدوه فقال هو مقتول فلما لم يجد من شيء بدا قال قصيدته التي يمدح فيها رسـول الله صلى الله عليه وسلم وذكر خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ثم خرج حتى قـدم المدينـة

فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة كما ذكر لي فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أشار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه فذكر لي أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس إليه فوضع يده في يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه فقال يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمنك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم . قال أنا يا رسول الله كعب بن زهير.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من الأنصار فقال يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه عنك فقد جاء تائبا نازعا عما كان عليه قال فغضب كعب على هذا الحي من الأنصار لما صنع به صاحبهم وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير فقال قصيدته اللامية التي يصف فيها محبوبته وناقته التي أولها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول — متيم إثرها لم يفد مكبول

يسعى الغواة جنابيها وقولهم — إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول

وقال كل صديق كنت آمله — لا ألهينك إني عنك مشغول

فقلت خلوا طريقي لا أبا لكم — فكل ما قدر الرحمن مفعول

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته — يوما على آلة حدباء محمول

نبئت أن رسول الله أوعدني — والعفو عند رسول الله مأمول

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة الـ — قرآن فيها مواعيظ وتفصيل

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم — أذنب ولو كثرت في الأقاويل

لقد أقوم مقاما لو يقوم به — أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل

لظل ترعد من خوف بوادره — إن لم يكن من رسول الله تنويل

حتى وضعت يميني ما أنازعها — في كف ذي نقمات قوله القيل

لهو أخوف عندي إذ أكلمه — وقيل إنك منسوب ومسئول

من ضيغم بضراء الأرض مخدره — في بطن عثر غيل دونه غيل

يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما — لحم من الناس معفور خراديل

إذا يســاور قرنــا لا يحــل لــه ... أن يترك القــرن إلا وهــو مفلــول

منــه تظــل ســباع الجــو نــافرة ... ولا تمشــي بواديــه الأراجيــل

ولا يــزال بواديــه أخــو ثقــة ... مضرج البــز والدرســان مــأكول

إن الرســول لنــور يستضــاء بــه ... مهنــد مــن ســيوف الله مســلول

في عصبة من قريش قــال قــائلهم ... ببطن مكــة لمــا أســلموا زولــوا

زالوا فما زال أنكــاس ولا كشــف ... عنــد اللقــاء ولا ميــل معازيــل

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ... ضرب إذا عــرد الســود التنابيــل

شــم العــرانين أبطــال لبوســهم ... من نسج داود في الهيجــا ســرابيل

بيض سوابغ قد شــكت لهــا حلــق ... كأنهــا حلــق القفعــاء مجــدول

ليسوا مفــاريح إن نالــت رمــاحهم ... قوما وليســوا مجازيعــا إذا نيلــوا

لا يقع الطعــن إلا فــي نحــورهم ... وما لهم عن حياض الموت تهليــل

قال ابن إسحاق : قال عاصم بن عمر بن قتادة : فلما قال كعــب : " إذا عــرد الســود التنابيل " وإنما عنى معشر الأنصار لما كان صاحبنا صنع به مــا صــنع وخــص المهــاجرين بمدحته غضبت عليه الأنصار فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار في قصيدته التي يقول فيها:

من سره كرم الحياة فلا يزل ... في مقنب من صالحي الأنصار

ورثوا المكارم كابرا عن كابر ... إن الخيار هم بنــو الأخيــار

البــاذلين نفوســهم لنبــيهم ... يوم الهياج وســطوة الجبــار

والذائدين الناس عن أديــانهم ... بالمشــرفي وبالقنــا الخطــار

والبــائعين نفوســهم لنبــيهم ... للموت يــوم تعــانق وكــرار

يتطهرون يرونه نســكا لهــم ... بدماء من علقوا مــن الكفــار

وإذا حللت ليمنعــوك إلــيهم ... أصبحت عند معاقل الأعفــار

قوم إذا خوت النجوم فــإنهم ... للطــارقين النــازلين مقــاري

وكعب بن زهير من فحول الشعراء هو وأبوه وابنه عقبة وابن ابنه العوام بن عقبة.

ومما يستحسن له أيضا قوله في النبي صلى الله عليه وسلم:

تحدى به الناقة الأدماء معتجـرا ... للبرد كالبـدر جلـي ليلـة الظلـم

ففي عطافيـه أو أثنـاء بردتـه ... ما يعلم الله من دين ومـن كـرم[1]

فتأثر الرسول – صلى الله عليه وسلم – لما سمع الأبيات الأولى في ذم الإسلام، وأهـدر دم كعب؛ مما جعله يهيم على وجهه ويسعى لنيل العفو حتى ناله آخر المطاف.

الحطـيـئة (توفي ٤٥ هـ/٦٦٥ م)

هو جرول بن أوس، من بني قُطَيْعة بن عبس، ولقِّب بـ "الحطيئة" لقصره. ويكنـى أبـا مُلَيْكة، وكان رواية زهير. وهو جاهلي إسلامي. ولد في بني عبس دعيّاً لا يعرف له نسـب ولا يصله بالشرف نسب، فشبّ محروماً مظلوماً مذموماً لا يجد مدداً من أهله، ولا سنداً مـن قومـه فاضطر إلى الشعر يجلب به القوت ويدفع به العدوان وينتقم به لنفسه من بيئة ظلمته وطاردتـه. واجتمعت عليه عوامل الشر فحملت منه صورة للرذيلة فكان كما وصفه الأصمعي سيئ الخلـق، دنيء النفس، جشعَ كثير الشر، قليل الخير، فاسد الدين، سئولاً ملحفا، دميماً رثّ الهيئـة متـدافع النسب بين القبائل. وقد بلغ من لؤمه أن هجا أمّه وامرأته وبنيه حتى نفسه[2].

لم يُسلم إلا بعد وفاة رسول الله ﷺ، لأنه لم يُسمع له بذكر فيمن وفد على النبي من وفود العرب، ولكن ومهما يكن فإنه كان رقيق الإسلام لئيم الطبع. ولم يستطع الـدين أن يرفـع هـذه النفس الوضيعة، ولا يطبق فم هذا المقول الجريء فمرج لسانه في أعـراض النـاس واشـتدت وقيعته عندهم. حتى الزبرقان بن بدر صاحب رسول الله وعامل عمر بن الخطاب لـم يعصـمه منه إكرامه جواره وإحسانه إليه، فمالأ بغيض بن عامر خصمه عليه ومدح بني أنف الناقـة وذمّ الزبرقان، كما سنرى.

أما من حيث شعره، فهو شاعر متين الشعر، غزير البحر رائق الأسلوب، شرود القافية، متصرف في فنون القول من مديح ونسب وفخر، ولولا خساسة طبعه ودناءة طمعه وقبح تبّذلـه لما فضّله في المخضرمين أحد، ولكن شرف الكلام بشرف قائله. والحطيئة كزهيـر ابـن أبـي

---

(١) القصة في السيرة النبوية والقصيدة في ديوان كعب.
(٢) الشعر والشعراء ٣٢٥/١ وما بعدها.

سلمى في عبيد الشعر الذين روّوا في ونقّحوه. وقد يؤثر عنه قوله "خير الشعر الحولي المنقّح المحكك". وقلما نجد في هجائه على مرارته فحشاً أو هُجراً، حتى عمّي على الخليفة عمر قوله في هجاء الزبرقان:

دع المكارم لاترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فلم يفطن إلى موضع الهجاء فيه لدّقته حتى دلّ عليه حسّان بن ثابت.

ومن أقذع قوله في الهجاء، ما قاله في أمه:

تنحَّيْ فاقعدي منّا بعيداً ... أراحَ الله منك العالمينا
ألم أوضح لك البغضاءَ منّي ... ولكن لا إخالُك تعلقينا
أغربالاً إذا استودعْتِ سراً ... وكانوناً على المتحدثينا
جزاك الله شراً من عجوز ... ولقّاك العقوقَ من البنينا
حياتُك ما علمتُ حياةُ سوءٍ ... وموتُك قد يَسُرُّ الصالحينا

وقال لأبيه:

لحاك الله ثم لحاك حقاً ... أبا ولحاك من عمٍّ وخالِ
فنعم الشّيخُ أنتَ لدى المخازي ... وبئس الشيخُ أنت لدى المعالي
جَمَعتَ اللُّؤمَ لا حيَّاك ربي ... وأبوابَ السّفاهةِ والضلالِ

وقال لنفسه:

أبت شفتاي اليومَ إلا تكلُّما ... بسوء فما أدري لمن أنا قائلُهْ
أرى لي وجهاً شوَّهَ الله خَلْقَه ... فقُبِّح من وَجْه وقُبِّح حاملُهْ

وأما قصته مع الزبرقان فمعروفة، وكان الحطيئة قد جاور الزبرقان بن بدر، فلم يحمد جواره، فتحول إلى بغيض، فأكرم جواره، قال يهجو الزبرقان ويمدح بغيضاً:

ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلاً ... ذا حاجة عاش في مستوعر شاس
جاراً لقوم أطالوا هون منزله ... وغادروه مقيماً بين أرماس
ملّوا قراه وهرته كلابهم ... وجرحوه بأنياب وأضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك الطاعم الكاسي

فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب ﷺ، وأنشده آخر الأبيات، فقال له عمر: "ما أعلمه هجاك، أما ترضى أن تكون طاعماً كاسياً؟" فقال الزبرقان: "إنه لا يكون في الهجاء أشد من هذا." فأرسل عمر إلى حسان بن ثابت، فسأله عن ذلك، فقال: "لم يهجه (وحسب) ولكن سلح عليه!" فأمر به عمر فجعل في بئر جافة، حيث لم يكن هناك سجون فحبسه، وقال: "يا خبيث لأشغلنك عن أعراض المسلمين".

فقال وهو مسجون يستعطف عمر بن الخطاب:

ماذا أردت لأفراخ بذي مرخ	حمر الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة	فاغفر عليك سلام الله يا عمر

فرقّ له عمر وأخرجه قائلاً له "إياك وهجاء الناس." قال: "إذاً يموت عيالي جوعاً وهذا مكسبي منه." فاشترى منه الخليفة أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم واشترط عليه ألاّ يهجو أحداً منهم. فكفّ الحطيئة عن الهجاء إلى أن مات الخليفة الفاروق، ثم عاد إلى طبعه.

توفي الحطيئة سنة ٤٥ للهجرة، وقال حين حضرته الوفاة:

لكل جديد لذة غير أنني	رأيت جديد الموت غير لذيذ
له خبطة في الخلق ليست بسكر	ولا طعم راح يشتهى ونبيذ

وقد اعترف الحطيئة بخبث لسانه ولؤم طبعه في غير موطن، واعترف أنه أشعر الناس عند الرغبة والرهبة، فجاء في بعض أقواله: فحسبك والله بي عند رغبة أو رهبة إذا رفعت إحدى رجلي على الأخرى ثم عويت عواء الفصيل في إثر القوافي.

أبو محجن الثقفي

هو من ثقيف، كان مسلماً، ولكنه كان مولعاً بالشراب، مشتهراً به، وكان سعد بن أبي وقاص حبسه بسببه، فلما كان يوم القادسية وبلغه ما يفعل المشركون بالمسلمين، وهو عند أم ولد لسعد، قال:

كفى حزناً أن تطعن الخيل بالقنا	وأترك مشدوداً على وثاقيا
إذا قمت عناني الحديد وغلقت	مغاليق من دوني تصم المناديا

وقـد كنـت ذا أهـل كثيـر وأخـوة ... فقد تركـوني واحـداً لا أخـا ليـا
هلـم سـلاحي، لا أبـا لـك، إننـي ... أرى الحـرب لا تـزداد إلا تماديـا

فقالت له أم ولد سعد: "أتجعل لي إن أنا أطلقتك أن ترجع حتى أعيدك في الوثاق؟"
قال: "نعم".

فأطلقته، وركب فرساً لسعد بَلْقاء، وحمل على المشركين، فجعل سعد يقول: "لولا أن أبـا محجن بالوثاق لظننت أنه أبو محجن وأنها فرسي".

وانكشف المشركون، وجاء أبو محجن فأعادته في الوثاق، وأتت سعداً فأخبرته، فأرسـل إلى أبي محجن فأطلقه، وقال: "والله لا حبستك فيها أبداً".
فقال أبو محجن: "وأنا والله لا أشربها بعد اليوم أبداً."

ومن طريف ما يُروى أن ابن أبي محجن دخل على معاوية بن أبي سـفيان وهـو فـي الشام، فقال له معاوية: أبوك الذي يقول:

إذا متّ فادفني إلى جَنْـب كرمـةٍ ... تروّي عظامي بعد موتي عُروقُهـا
ولا تـدفننّي فـي الفـلاة فـإنني ... أخـاف إذا مامـتُّ ألاّ أذوقهـا

فقال ابن أبي محجن: "بل أنا الذي يقول أبي":

لا تسأل الناس عن ما مالي وكثرته ... وسائل الناس ما جودي وما خُلُقـي
أُعطي الحسام غداة الرّوع حصّـته ... وعامل الرمح أرويه مـن العَلَـق
وأطعن الطّعنة النجلاء عن عَرَض ... وأكتم السرّ فيـه ضـربة العُنُـق
ويعلم النـاس أنـي مـن سـراتهمُ ... إذا تطيشُ يدُ الرّعديـدة الفَـرِقُ[1]

فقال له معاوية: أحسنت والله يابن أبي محجن، وأمر له بصلة وجائزة.

فسجن أبي محجن كان بسبب أبياته في شرب الخمر والتحريض عليهـا والإشـادة بمـا تفعله في نفوس شاربيها، ولكنه تاب في آخر عمره وأقلع عنها فعفا عنه سعد.

---

(١) قصص العرب ٣٧٨/٢ ، الشعر والشعراء ٤٢٣/١ ، ٤٢٤.

واسمه المغيرة بن الأسود بن وهب. (ترجمته في الإصابة ٦: ١٨)

كان يغضب إذا قيل له الأقيشر، فمر ذات يوم بقوم من بني عبس، فقال له بعضهم: يا أقيشر، فنظر إليه ساعة وهو مغضب، ثم قال:

أتـــدعوني الأقيشـــر ذلـــك اســـمي ... وأدعـــوك ابـــن مُطْفِئَـــةِ السّـــراج

تنـــاجي خِـــدنها بالليـــل ســـرا ... وربُّ النـــاس يعلـــمُ مـــا تنـــاجي

فسمي الرجل "ابن مطفئة السراج" وولده ينسبون إلى ذلك إلى اليوم[1].

وهذا من التنابذ بالألقاب وكان الأجدر بالأقيشر أن يعفو عمن ظلمه لا أن يبتدع له لقبـــاً مشيناً فيه من الكذب والزور ما فيه!

---

(١) الشعر والشعراء ٥٥٩/٢.

الأحوص يغري بآل ابن حزم

كان ابن حزم أميراً على المدينة فتحامل على الأحوص الشاعر تحاملاً شديداً، فشـــخص إلى الوليد بن عبد الملك فأنشده قصيدة يمتدحه فيها، فلما بلغ إلى قوله كالذي يشتكي ابـــن حـــزم وظلمه:

لاتـــرثينَّ لحزمـــيٍّ ظفـــرتَ بـــه ... يوماً ولو أُلقي الحزمي فـــي النـــار
الناخســـين لمـــروانٍ بـــذي خشـــبٍ ... والداخلين على عثمان فـــي الـــدار

فقال له الوليد: "صدقت والله، لقد غفلنا عن حزم وآل حزم، ثم كتب عهداً لعثمان بن حيان المرّي على المدينة، وعزل ابن حزم، وأمر باستئصال أموالهم، وإسقاطهم جميعاً من الديوان[١].

فالبيتان تسببا في عزل ابن حزم، وقد ذكر الأحوص ما كان من آله مع عثمان بن عفان؛ فتحركت نفس الوليد لذلك وعزل واليه، وإني أرى أن الأبيات لم تبلغ بنفسها هذا المبلـــغ، وإنمـــا جاء العزل بسبب ثارات قديمة وهذا غير سديد في سيرة الوليد.

الفرزدق مع نصيب وسليمان بن عبد الملك

غضب سليمان بن عبد الملك على الفرزدق، وذلك لأنه استنشده لينشده فيه أو في أبيه، فأنشده مفتخراً عليه:

وركب كأنَّ الـــريح تطلـــب عنـــدهم ... لها تِرَة مـــن جـــذبها بالعصـــائب
سروا يخبطون الـــريح وهـــي تلقهـــم ... إلى شعب الأكـــوارذات الحقائـــب
إذا استوضحوا ناراً يقولـــون: ليتهـــا ... - وقد خَصرت أيديهم - نار غالب

فتبين غضب سليمان، وكان نصيب حاضراً فأنشده:

(١) العمدة ٦٤/١.

أقـــول لركـــــب قـــافلين رأيـــتهم قَفَا ذات أوشـــالٍ ومـــولاك قـــاربُ

قفوا خبرونـــي عـــن ســـليمان إننـــي لمعروفه مـــن أهـــل وَدّان طالـــبُ

فعاجوا فـــأثنوا بالـــذي أنـــت أهلـــه ولو سكتوا أثنت عليـــك الحقائـــبُ

فقال: "ياغلام، أعط نصيباً خمسمائة دينار، وألحق الفرزدق بنار أبيه." فخرج الفرزدق مُغْضباً وهو يقول:

وخيـــر الشـــعر أكرمـــه رجـــالاً وشـــرُّ الشـــعر ماقـــال العبيـــد[1]

أبو النجـم العجـلي الـراجـز

هو الفضل بن قدامة من عجل، كان ينزل بسواد الكوفة في موضع يقال له الفرك، أقطعه إياه هشام بن عبد الملك.

أنشد أبو النجم هشام بن عبد الملك أرجوزته التي أولها: الحمد لله الوهوب المُجْزِل. وهي أجود أرجوزة للعرب، وهشام يصفو بيديه من استحسانه لها، فلما بلغ قوله في الشمس:

حتى إذا الشـــمس جلاّهـــا المجلّـــي بـــين ســـماطَيْ شَـــفقٍ مُرعْبِـــلِ

صـــغواء قـــد كـــادت ولمـــا تفعـــلِ فهـــي علـــى الأفـــق كعـــين الأحـــول

أمر هشام بوجـء رقبته وإخراجه، وكان هشام أحول[2].

وهذا من سوء المخاطبة، وعدم مراعاة الأدب في الخطاب، وقد أكد الأدبـاء والعلمـاء على حسن الخطاب خصوصاً عند مخاطبة الخلفاء والوجهاء.

الأخـطـل والجحّـاف

قتلت بنو تغلب عمير بن الحباب السلمي، فدخل الأخطل على عبد الملك بن مروان، والجحَّاف السلمي عنده، فأنشد عبد الملك شعراً قال فيه:

---

(١) المصدر نفسه ٧٣/١ ، ٧٤.

(٢) الشعر والشعراء ٦٠٤/٢.

ألا سائل الجحَّـاف هـل هـو ثـائر بقتلـى أُصـيبت مـن سُـلَيم وعـامرِ

فخرج الجحاف من فوره مغضباً حتى أغار على البِشْر (وهو ماء لبني تغلب)، وقتل منهم ثلاثة وعشرين رجلاً، وقال الجحاف:

أبا مالك هل لمتني مـذ حضضـتني على القتل، أم هـل لامنـي منـك لائـمِ
متى تدعني أخـرى أجبـك بمثلهـا وأنـت امـرؤ بـالحق لـيس بعـالمِ

يقصد أنه تحفَّز لقول الأخطل (أبو مالك) وأخذ بثأره فور سماع التحريض. فخرج الأخطل حتى أتى عبد الملك بن مروان وقال:

لقد أوقع الجّحـاف بالبشـر وقعـة إلـى الله منهـا المشـتكى والمعـوَّلُ
فـإلا تعتريهـا قـريشٌ بمُلكهـا يكـنْ عـن قـريشٍ مسـتمازٌ ومَزحَـلُ

(المستماز: موضع ينفصل إليه ويتباعد. والمزحل: موضع يزحل إليه أو يتنحى ويتباعد)

فقال له عبد الملك: إلى أين يا ابن اللخناء (وهذا نداء متعارف عليه عند العرب).
قال: إلى النار يا أمير المؤمنين! قال: أما والله لو قلت غيرها لضربت عنقك[1].

وكان الأولى بعبد الملك أن يتدارك الأمر قبل وقوعه بدلاً من أن يترك هـذا الأخطـل يشعل نار الفتنة ويحرض على القتل أمامه؛ وإنما كان الأخطل ذا مكانة سامية عند عبد الملك.

(١) المصدر نفسه ٤٨٥/١.

ســـديف بـــن ميمـــــون

هو مولى بني العباس وشاعرهم، ويقال إنه كان مولى لامرأة من خزاعة وكان زوجهـا من اللهبيين فنسب إلى ولاء اللهبيين، قتله المنصور وقيل: بل دفنه حياً(١).

قدم سديف الشاعر من مكة إلى الحيرة وأبو العباس السفاح بها، ووافق قدومـه جلـوس السفاح للناس، وكان بنو أمية يجلسون على الكراسي تكرمة لهم، فلما دخل عليه سـديف حسـر لثامه وأنشد أبياتاً من الشعر. فالتفت رجل من أولاد سليمان بن عبد الملك وقال لآخر إلى جانبه: "قتلنا والله العبد" (يقصد سديفاً. فلما أنهى الأبيات أمر بهم السفاح فأخرجوا من بين يديه، وقتلـوا عن آخرهم، وكتب إلى عماله بالبلاد يأمرهم بقتل من وجدوه من بني أمية. ومن الأبيات:

أصـبح الـدين ثابتـاً فـي الأسـاس ... بالبهاليـل مـن بنـي العبـاس
أنـت مهـدي هاشـم وهـداها ... كـم أنـاس رجـوك بعـد إيـاس
لا تُقلـين عبـد شـمس عثـاراً ... واقطعـن كـل رقلـة(٢) وغـراس
أنزلوهـا بحيـث أنزلهـا الله ... بـدار الهـوان والإتعـاس
خـوفهم أظهـر التـودد منـهم ... وبهـم منكم كحـز المـواس
أقصـهم أيهـا الخليفـة واحسـم ... عنـك بالسـيف شـأفة الأرجـاس
واذكـرن مصـرع الحسـين وزيـد ... وقتـيلاً بجانـب المهـراس
ولقـد سـاءني وسـاء سـوائي ... قـربهم مـن منـابر وكراسـي

فتأثر السفاح بقوة التحريض الوارد في الأبيات، وقضى على أولاد سليمان، وهذا ظلم بيِّن يؤخذ فيه البريء بمجرد القول ولكنه البيان والتأثر، ولهذا قال ابن الأثير معلقاً على هذه الأبيات: "وهذه الأبيات من فاخر الشعر ونادره افتتاحاً وابتداءً وتحريضاً وتأليباً، ولو وصفتها بما شاء الله وشاء الإسهاب والإطناب لما بلغتُ مقدار مالها من الحسن"(٣).

---

(١) الشعر والشعراء ٧٦١/٢ ، ٧٦٢.

(٢) الرقلة: النخلة الطويلة.

(٣) المثل السائر ٢١٦/٢ ، ٢١٧.

هجا أبو سعيد المخزومي الأشعث بن جعفر المخزومي فقال:

يهـــتم علينـــا بـــأن الـــذئب كلّمكـــم	فقـــد لعمـــري أبـــوكم كلّـــم الـــذيبا
فكيف لـــو كلّـــم الليـــث الهصـــور؟ إذاً	تـــركتم النـــاس مـــاكولاً ومشـــروبا
هـــذا الســـنيدس لا اصـــل ولا طـــرف	يكلـــم الفيـــل تصـــعيداً وتصـــويبا

فأخذه الأشعث فضربه مائتي سوط، فعوتب في ذلك فقال: "إني لم أضربه للهجاء، ولكن ضربته لكذبه في الشعر وجهله لأنه جعل كلام الذئب لأبي مثل كلام السنيدي هذا مثل ذاك[1].

سديف يحرض السفاح على بني أمية

ودخل سديف بن ميمون على أبي العباس السَّفاح، وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وأبناه، وفي رواية أخرى سليمان بن مروان وولدان له، وفي رواية ثالثة إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك، فأنشده سديف:

لا يغرنـــك مـــا تـــرى مـــن أنـــاس	إن بـــينَ الضُـــلوع داءً دويـــاً
فَضع السَّـيف وارفـــع الســـوط حتـــى	لا تـــرَى فـــوقَ ظهرهـــا أُمَويّـــا

فقال سليمان: "قتلتني يا شيخ قاتلك الله." ونهض أبو العباس فوضع المنديل في عنق سليمان، وقتل من ساعته[2].

وإني أرى أن الشعر كان بمثابة الفتيل الذي حرك نار البغضاء؛ فأبو العباس كان يكره الأمويين، وكان يتحين الفرص للانقضاض عليهم؛ فوجد هنا بغيته في وصفهم بالحقد الدفين والعمل على نقض حكم العباسيين فبادرهم بالسوء.

مـــوت ســـديف

وسديف ممن ضره الشعر وأهلكه؛ وذلك لأنه طعن في دولة بني العباس بقوله لما خرج محمد بن الحسن بالمدينة على أبي جعفر المنصور في أبيات له:

---

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٩٥.
(٢) العمدة ٦٢/١.

إنـــا لنأمـــلُ أن ترتـــدَّ ألفتنـــا	بعد التباعــد والشـــحناء والإحَــنِ
وتنقضـــي دولـــةٌ أحكـــامُ قادتهـــا	فينا كاحكـــام قـــوم عابــدي وثَــنِ
فانهض ببيعـــتكم تَــنْهضْ بطاعتنـــا	إن الخلافة فـــيكم يـــابني الحســـنِ

فكتب المنصور إلى عبد الصمد بن علي بأن يدفنه حيّاً ففعل. ويقال إن الأبيات لعبد الله بن مصعب نُسبت إلى سديف وحُملت عليه فقتل بسببها[1].

وهذا يؤكد قولي من أن بني العباس كانوا يأخذون كل من يقف في طريق دولتهم، كمـــا يؤكد سوء مذهب سديف وتردده، فهو ضعيف الهوى متناقض الآراء؛ فنال جزاء ظلمه لغيره.

شبل بن عبد الله يحرض على بني أمية

دخل شبل بن عبد الله على عبد الله بن علي وأنشده قصيدة له يقول فيها محرضاً على بني أمية، وعنده منهم ثمانون رجلاً:

أقصِـــهم أيهـــا الخليفـــة واقطَـــعْ	عنـــك بالســـيف شـــأفةَ الأرْجـــاسِ
ذلهـــا أظهـــرَ التـــودُّدَ منهـــا	ولهـــا مـــنكم كحـــزِّ المَواســـى
ولقـــد غـــاظني وغـــاظَ ســـوائي	قُرْبهـــا مـــن نمـــارقٍ وكَراســـي
أنزلوهـــا بحيـــث أنزلهـــا الله	بـــدار الهـــوان والإتعـــاس
واذكـــروا مصْـــرع الحســـين وزيـــد	وقتـــيلاً بجانـــب المهـــراس
والقتيـــلَ الـــذي بحـــرَّانَ أمســـى	ثاويـــاً بـــين غربـــةٍ وتناســـي

فلما سمع بذلك تنكر، وأمر بهم فقُتلوا، وألقى عليهم البساط، وجلس للغذاء وإن بعضهم يُسمع أنينه لم يمت بعد، حكى ذلك جماعة من المؤلفين، واختلفوا في رواية الشعر وحده؛ فأكثر الروايات موضع البيت الاول:

لا تُقَـــينَّ عبـــد شـــمسٍ عِثـــاراً	واقطَعَـــن كـــل رَقْلـــةٍ وأواس

ويروى (وغراس)، وأكثر الناس يروي هذه الأبيات لسديف بن ميمـــون يخاطـــب أبـــا العباس السفاح[2].

---

(١) المصدر نفسه ٧٤/١ ، ٧٥.
(٢) العمدة ٦٢/١ ، ٦٣.

مـــوت دعبل الخزاعي وسببه

كان دعبل الخزاعي ممن ضره الشعر وآذاه، وكل من عند الله عز وجل وبمشيئته ومقدوره . ودعبل كان هجّاءً للملوك، جسوراً على أمير المؤمنين، متحاملاً، لا يبالي ما صنع، حتى عرف بذلك، وطار اسمه فيه، فصنع على لسانه بكر بن حماد التاهرتي، وقيل: غيره ممن كان دعبل يؤذيه ويهاجيه:

ملوك بني العبـــاس فـــي الكتْـــب ســـبعةٌ	ولـــم تأْتِنـــا عـــن ثـــامن لهـــمْ كُتْـــب
كذلك أهل الكهـــف فـــي الكهـــف ســـبعةٌ	كـــرام إذا عـــدُّوا، وثـــامنهم كلـــب

وقيل بل صنعها دعبل نفسه. وكان المعتصم يعرف بـــ "الثامن" و "المثمن" فبلغه ذلك، فأمر بطلبه، ففر منه إلى بلد بالسودان بناحية المغرب (وتعرف الآن بـــ زويلة بني الخطاب) فمات بها وهناك قبره(١).

أبـــو مقـــاتـــل

أنشد علي بن مقاتل الضرير أبا الحسن العلوي الثائر المعروف بالداعي الأصفر المتوفى بطبرستان ٣١٦هـ، أنشده

لا تَقُل بُشرى ولكن بُشريان	غُرَّةُ الداعي ويومُ المهرجان

فأمر الداعي بضرب الداعي خمسين عصا وقال: هذا أبلغ في إصلاح أدبه(٢).

والخطأ هنا وقع في سوء الابتداء، حيث أتت العبارة في صورة ما يضاد الغرض – كما قال حازم – وأيضاً في قبح الابتداء، وقد أكد النقاد على وجوب حسن الابتداء؛ لأنه أول ما يقرع سمع المتلقي.

---

(١) المصدر نفسه ٧٢/١.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني.

عبـــد بني الحسحاس

اسمه: سُحَيم، وكان حبشياً معلطاً قبيحاً، وكان شاعراً محسناً.اشتراه عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وكتب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه: "إني قد اشتريت لك غلاماً حبشياً شاعراً"، فكتب إليه عثمان "فإنما حظ أهل العبد الشاعر منه إذا شبع أن يشبب بنسائهم، وإذا جاع أن يهجوهم."

سمعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينشد:

ولقد تحدر مـــن كريمـــة بعضـــهم عَـــرَقٌ علـــى جنـــب الفـــراش وطيـــب

فقال له: إنك مقتول. وقد سقوه الخمر ثم عرضوا عليه نسوة، فلما مرت به التي كان يتّهم بها أهوى إليها، فقتلوه[1].

وهكذا أثرت بعض الأبيات تأثيراً خفيفاً بالضرب أو الطرد أو العزل، وكان لبعضها الأثر القوي فكانت سبباً في القتل أو الدفن حال الحياة؛ لما لأثرها من القوة البالغة وما للموقف من دهشة وحيرة وأثر هدام للخلق أو الدين أو الدولة.

---

(١) الشعر والشعراء ٤٠٨/١ ، ٤٠٩.

الفصل الثاني

أبيات أعقبها عفـو

النعمان بن المنذر يعفو عن النابغة الذبياني

بعد أن أهدر النعمان بن المنذر دم النابغة لأنه وصف المتجردة زوجته أخذ النابغة يقدم شتى أنواع الاعتذار للملك الغاضب. ومن اعتذارياته قوله:

كأنــك شــمس والملــوك كواكــب   متى ظهرت لم يبــدُ مــنهن كوكــب

فعفا عنه النعمان[1]. وقدم النابغة اعتذاريات أخرى، منها قوله:

فإنــك كالليــل الــذي هــو مــدرك   وإن خلت أن المنتأى عنــك واســع[2]

ســـــلامـــة بن جـــندل

وقع أحمد بن جندل أخو سلامة في يد صعصعة بن محمد بن عمرو بن مرثد أسيراً، فبعث سلامة إلى صعصعة بهذه الأبيات:

ســـأجزيك بـــالود الـــذي كـــان بيننـــا   أصعصع إني ســـوف أجزيـــك صعصـــعا

ســـأهدي وإن كنـــا بتثليـــث مدحـــةً   إليـــك وإن حلّـــت بيوتـــك لعلعـــا

(تثليث: موضع قرب مكة. لعلع: موضع بين البصرة والكوفة).
فقال صعصعة: الثناء والمدحة أحب إلينا، وأطلق أخاه[3].

فأصاب صعصعة في فعله واختياره، حيث أطلق الأسير واختار الثناء والمدح على الدية؛ لأن الدية تذهب وتبقى الكلمة مدى الدهر – كما فعل زهير مع هرم بن سنان وقد قيل لأبناء زهير: لقد أعطى هرم بن سنان والدكم الكثير، فقالوا: ذهب ما أعطاه هرم، وبقي ما أعطاه أبي!.

---

(١) الشعر والشعراء ١٥٧/٢ ، ديوان النابغة الذبياني.
(٢) المصدر نفسه والموطن نفسه.
(٣) البيان والتبيين ٩٤٤/٣.

قيس بن جحدر وحاتم الطائي

أسر ملك من ملوك جفنة قيس بي جحدر، جدّ الطرماح بن حكيم الشاعر، فدخل حاتم الطائي على هذا الملك فاستوهبه وقال:

فككت عدياً كلها من إسارها ... فأفْضِلْ وشفّعني بقيس بن جحدرِ
أبوه أبي والأم من أمهاتنا ... فأنعم فدتْك اليوم نفسي ومعشري

فأطلقه الملك[1].

وهذا يدل على مكانة حاتم عند الملوك، وربما كان ذلك بسبب حسن خلقه وكرمه.

الأعشى وعلقمة بن علاثة

لما هجا الأعشى علقمة، نذر علقمة دمه، فخرج الأعشى يريد وجها (يعني نجاة) فأخطأ به دليله فألقاه في ديار عامر بن صعصعة، فأخذه رهط علقمة فأتوه به فقال الأعشى:

أعلقم قد صيّرتني الأمورْ ... إليك وما أنت لي مُنقصْ
فهب لي ذنوبي فدتك النفوس ... ولا زلت تنمي ولا تَنقُص

فعفا عنه علقمة، فقال الأعشى ينقض ما قاله في هجاء الرجل:

علقمَ يا خير بني عامر ... للضيف والصاحب والزائرِ
والضاحك السن على همه ... والغافرِ العثْرة للعاثر[2]

وهكذا تفعل الشعراء، فاستطاع الشعر بأبياته أن يسل سخيمة صدر علقمة، بل ويحول هجاء الأول إلى مديح.

---

(١) الشعر والشعراء ٥٨٥/٢.
(٢) المصدر نفسه ٢٦٠/١ ، ٢٦١.

عبيـــد بن الأبرص

حكم حُجر بن عمرو الكندي (والد امرئ القيس) بني أسد، فكان يأخذ منهم شيئاً معلوماً، فامتنعوا منه، فسار إليهم فأخذ سرواتهم فقتلهم بالعصي، فسموا "عبيد العصا" فأسر منهم طائفة، فيهم عبيد بن الأبرص، فقام بين يدي الملك فقال:

يـــا عـــين مـــا فيـــك بنـــي	أســـد هـــم أهـــل الندامـــه
أهـــل القبـــاب الحمـــر	والـــنَّعم المؤبـــل والمدامـــه
مهـــلاً أبيـــت اللعـــن مهـــلاً	إن فيمـــا ملكـــت آمـــه
فـــي كـــل واد بـــين يـــثـ	رب والقصـــور إلـــى اليمامـــه
تطريـــب عـــان أوصـــيا	ح محـــرّق وزرقـــاء هامـــه
أنـــت المليـــك علـــيهم	وهـــم العبيـــد إلـــى القيامـــه

فرحمهم الملك وعفا عنهم وردهم إلى بلادهم(١).

وهذا الشعر من باب الاستعطاف والاسترحام، غير أن الشاعر حط من قدر نفسه وقد رفاقه حين جعلهم عبيداً إلى يوم القيامة، وربما كان هذا التذلل سبباً في العفو وفك الأسر.

---

(١) الشعر والشعراء ١٠٥/١ ، ١٠٦.

كعب بن زهير

مرت قصة كعب حين أساء للإسلام، ولكنه عاد بعد ذلك ودخل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وجلس بين يديه وأسلم وأنشده قصيدة "بانت سعاد" ومدح رسول الله بأبيات جيدة منها قوله:

أنبئت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظ وتفصيل

لا تأخذني بأقوال الوشاة فلم ... أذنب ولو كثرت في الأقاويل

إن الرسول لنور يستضاء به ... مهندٌ من سيوف الله مسلول[1]

وقد أنشد كعب هذه القصيدة في المسجد بين يدي الرسول الكريم وفي مسجده، واستمع إليه المصطفى الكريم وأعجب بها وخلع على كعب بردته بعد انتهائه من الإنشاد، وقد بقيت البردة في أبناء كعب حتى اشتراها منهم معاوية. وفي هذه القصة دليل على جواز الاستماع للشعر الحسن الذي ليس فيه خروج على الأخلاق الحسنة.

---

(١) انظر القصة والأبيات في السيرة النبوية لابن هشام، الشعر والشعراء، ديوان كعب بن زهير.

العـديـل بن الفـرخ

هو العديل بن الفرخ العجلي، ولقبه العبّاب، وكان العباب كلباً له، وهو من رهط أبي النجم. العجلي توفي نحو سنة ١٠٠هـ.

هجا العديل الحجاج فطلبه، فهرب منه إلى قيصر الروم فقال:

ودون يــد الحجــاج مــن أن تنــالني　　بســاط لأيــدي الــيعملات عــريضُ
مهامــه أشــباه كــأن ســرابها　　مُــلاء بأيــدي الفاســلات رحــيض

وكتب الحجاج إلى قيصر: "والله لتبعثن به أو لأغزينك خيلاً يكون أولها عندك وآخرها عندي"، فبعث به إلى الحجاج، فلما دخل عليه قال: أنت القائل: ودون يد الحجاج من أن تنالني فكيف رأيت أمكن الله منك؟

قال: أنا القائل:

فلــو كنــت فــي ســلمى أجــأ وشــعابها　　لكــان للحجّــاج علــيّ دليــلُ
خليــل أميــر المــؤمنين وســيفه　　لكــل إمــام مصــطفى وخليــلُ
بنــى قبــة الإســلام حتــى كأنمــا　　هدى الناس مــن بعــد الضــلال رســولُ

فخلى سبيله[1].

والنفاق واضح في هذه الأبيات، كما أن المغالاة في المدح لا تخفى على ذي بصيرة، حيث رفعه إلى مرتبة الرسول الهادي من الضلالة، وأنا أقصد هنا النفاق من الجانبين: جانب المادح وجانب الممدوح.

يزيد بن معاوية يسوغ قاطع طريق بشعر له رواه

وحمل بعض العمال إلى يزيد بن معاوية مــالاً جلــيلاً، فقطــع عليــه قســيم الغنــوى فأخذه، وأمر يزيد بطلبه، فلما مثل بين يديه قال: "ما حملك على الخــروج علينــا وأخــذ مــال

(١) الشعر والشعراء ٤١٣/٢ ، ٤١٤.

يحمل إلينا؟" قال: "إذنك يا أمير المؤمنين أعزك الله،" قال: "ومتى أذنت؟" قال: "حين قلـت وأنـا أسمعك":

اعصِ العواذلَ وارم الليلَ عـن عـرض	بذي سـبيب يقاسـى ليلـه خببـا
كالسِّـيد لـم ينقـبِ البيطـار سـرَّته	ولم يَدجْـه ولـم يقطـع لـه لبَبَـا
حتـى تُصـادف مـالاً أو يقـالَ فتـى	لاقى التي تَشْعَب الفتيـانَ فانشـعبا

فعصيت عواذلي، وأسهرت ليلي، وأعملت جوادي، فأصبت مالاً، قال: قد سوغناكه فلا تعد[١].

ولو صحت الرواية لكانت دليلاً على فساد رأي يزيد وسوء حكمه في هذه المسألة؛ حيث أجاز لقطاع الطرق أخذ مالٍ بقانون شعري، فخوف يزيد من تكذيب ما قاله في شعره قبل ذلك حمله على إجازة هذا العمل.

مصعب بن الزبير وأسير من أصحاب المختار الثقفي

وأتى مصعب بن الزبير بأسارى من أصحاب المختار، فأمر بقتلهم بين يديه، فقام إليه أسير منهم فقال: "أيها الأمير، ما أقبح بك أن تقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ووجهك المليح الذي يستضاء به فأتعلق بك وأقول: يارب، سل مصعباً فيم قتلني،" فاستحيا مصعب وأمر بإطلاقه، فقال: "أيها الأمير، اجعل ما وهبت من حياتي في خفض ودعة من العيش." قال: "قد أمرت لك بثلاثين ألف درهم،" فقال: "أشهدك أيها الأمير أن شطر هذا المال لعبد الله بن قيس الرقيات،" قال: "ولم ذلك؟" قال: لقوله:

إنمـا مصعـب شـهـاب مـن الله تجلـت عن وجهه الظلماء

فضحك مصعب وقال: "اقبض ما أمرنا لك به، ولابن قيس عندنا مثله،" فما شعر عبد الله بن قيس إلا وقد وافاه المال[٢].

---

(١) العمدة ٧٠/١.
(٢) العمدة ٧٠/١.

يزيد بن عبد الملك يطلق الأحوص بسبب بيتين من شعره

حكي عن ابن شهاب الزهري قال: "دعاني يزيد بن عبد الملك، وقد مضى شطر الليل، فأتيته فزعاً وهو على سطح، فقال: لا بأس عليك اجلس؛ فجلست واندفعت جاريته حبابة تغني":

إذا رمْــتُ عنهــا ســلوةً قــال شــافعٌ ... من الحــب: ميعــاد الســلوِّ المقــابرُ
ستبقَى لها في مُضْــمَر القلــب والحشــا ... سريرةُ حــبٍّ يــوم تُبْلــى الســرائر

قال: "لمن هذا الشعر؟" فقلت: "للأحوص." قال: "ما فعل الله به؟" قلت: "محبوس بدَهْلَك." فكتب من ساعته بإطلاقه، وأمر له بأربعمائة دينار، وقدم إليه فأحسن جائزته[1].

---

(١) المصدر نفسه ٧١/١.

أبو نواس

هو الحسن بن هانئ مولى الحكم بن سعد العشيرة من اليمن. علم كبير من أعلام الأدب والشعر. له ديوان مطبوع توفى سنة ١٩٩هـ.

حبسه محمد الأمين فكتب إليه من الحبس:

قل للخليفة إنني ... حتى أراك بكل باس
من ذا يكون أبا نُوا ... سِك إذْ حَبَسْت أبا نواس

وكان حبسه لشيء عتب عليه فيه، فكتب إليه بهذين البيتين وهو على الشراب، فلما أن قرأهما تبسم وقال: "لا أبا نواس بعده" وناولهما الفضل بن ربيع، فشفع له، فأمر بإطلاقه والإقبال به إليه، فلما أن دخل عليه أمر له بعشرة آلاف درهم، وحمله وكساه[1].

والموقف لا يحتاج إلى تعليق.

أبو العتاهية

حبس الرشيد أبا العتاهية، فكتب إليه من الحبس:

تفديك نفسي من كل ما كرهت ... نفسك إن كنتُ مذنباً فاغفر
يا ليت قلبي مصوّرٌ لك ... فيه لتستيقن الذي أضمر

فوقع الرشيد في رقعته: "لا بأس عليك". فأعاد عليه رقعة بأبيات كتب فيها:

كأن الخلق رُكّب فيه روحٌ ... له جسدٌ وأنت عليه راسُ
أمين الله إن الحبس بأسٌ ... وقد وقّعتَ: ليس عليك باسُ

فأمر بإطلاقه[2].

(١) الشعر والشعراء ٨٠٣/٢.
(٢) المصدر نفسه ٧٩٢/٢.

وحبس هارون الرشيد الشاعر أبي العتاهية، وجعل عليه عيناً (جاسوساً) يأتيه بما يقول، فوجده يوماً وقد كتب على الحائط:

أمـــــا والله إن الظلـــــــم لـــــــؤمٌ ... ومـــــازال المســـيء هـــو الظلـــوم
إلــــى ديـــان يـــوم الـــدين نمضــــي ... وعنـــــد الله تجتمـــــع الخصـــــوم

فأخبر الرشيد بذلك فبكى ودعا لأبي العتاهية واستحله من ذنبه ووهب له ألف دينار[1].

وفي تلك القصة عدة جوانب منها: الخوف من الكلمة، حيث خاف الرشيد من أبي العتاهية حتى وهو بين الجدران وتحت سيطرته، ومنها: جبن أبي العتاهية في مجابهة الظالم إن كان ظالماً في حبسه إياه ومنها: الرجوع إلى الحق، حيث تراجع الرشيد عن قراره واعتقد أنه كان ظالماً فيه وطلب العفو من الشاعر والمبالغة في إكرامه.

أبو جعفـــر المنصـــــور والكـــتّـــاب

أمر أبو جعفر المنصور بسجن طائفة من الكتّاب غضب عليهم، فكتب إليه بعضهم من طريق السجن:

أطـــال الله عمـــرك فـــي صـــلاح ... وعِـــزٍّ يـــا أميـــر المؤمنينـــا
بعفـــوك نســـتجير فـــإن تجرنـــا ... فإنـــك رحمـــة للعالمينـــا
ونحـــن الكـــاتبون وقـــد أســـأنا ... فهبنـــا للكـــرام الكاتبينـــا

فعفا عنهم وأمر بتخليتهم[2].

ويبدو أثر الكلمة واضحاً في العفو الجماعي؛ حيث انتدب الكتاب أفصحهم للتعبير عنهم فاستخدم جمال اللفظ ورشاقة العبارة والتأثر بالقرآن الكريم وأسلوبه الرائع.

---

(١) الذهب المسبوك ص ٢١٥ ، ٢١٦.
(٢) (**المستطرف** ٢٢٩/٦، **وبهجة المجالس** ١/ ٣٥٨).

أبو تمام الطائي يستعطف مالك بن طوق

واستعطف أبو تمام مالك بن طوق لقومه بني تغلب – وكانوا في عملة الطرق، فخافوه واستشفعوا بأبي تمام – فقال في قصيدة مشهورة يخاطب بها مالكاً:

ورأيـــت قومـــك والإســـاءة مـــنهم ... جرحـــى بُظفْـــرِ للزمـــان ونـــابِ
هم صيروا تلــك البــروق صــواعقاً ... فيهم، وذاك العفــوَ ســوط عــذابِ
فأقِلْ أسامةَ جُرمهـــا، واصـــفح لهـــا ... عنه، وهَــبْ مــا كــان للوهــابِ
رَفَدوك في يــوم الكُــلاَب، وشــقّقوا ... فيـــه المـــزادَ بجحفـــلِ كـــلابِ
وهمُ بعــين أبـــاغَ راشــوا للــوغى ... سَهْمَيْك عنــد الحــارث الحــرَّابِ
وليـــالي الثرثـــار والحشَّـــاك قـــد ... جلبــوا الجيـــاد لواحـــقَ الأقـــرابِ
فمضـــت كهـــولُهُم، ودبَّـــر أمـــرَهُمْ ... أحـــداثُهم تـــدبيرَ غيـــر صـــوابِ
لا رقـــة الحضَـــر اللطيـــف غـــذتهمُ ... وتباعدوا عـــن فطنـــةِ الأعـــرابِ
فـــإذا كشـــفتهم وجـــدت لـــديهمُ ... كـــرمَ النفـــوس وقلـــة الآدابِ
لك فـــي رســـولِ الله أعظـــمُ أســـوة ... وأجلهـــا فـــي ســـنة وكتـــابِ
أعطـــى المؤلفـــةَ القلـــوبِ رضـــاهمُ ... كرمـــاً وردَّ أخائـــذ الأحـــزابِ

فذكر أصحاب الأخبار أن هذه القصيدة وقعت من مالك أجلَّ موقع فأجزل ثوابه عليها، وقبل شفاعته وردَّ القوم إلى رتبتهم ومنزلتهم، من بعد اليأس المستحكم والعداوة الشديدة[١].

ولا يخفى ما في الأبيات من قوة لفظ ورشاقة عبارة وحسن استعطاف، واستعانة بالتراث الديني متمثلاً في فعل الرسول الكريم مع المؤلفة قلوبهم.

المتنبي يشفع لبني كلاب عند سيف الدولة

واستعطف أبو الطيب المتنبي سيفَ الدولة لبني كلاب – وقد أغار عليهم فغنم الأموال وسبى الحريمَ، فأتى بعضُهم أبا الطيب يسأله أن يذكرهم له في شعره، ويشفع فيهم – فقال في قصيدة له مشهورة يخاطبه:

---

(١) (العمدة ١/٦١، ٦٢)

ترفَّــق أيهـــا المـــولى علـــيهم فـــإن الرفـــق بالجـــاني عتـــاب
فـــإنهم عبيـــدُك حيـــث كـــانوا إذا تـــدعو لنائبـــةٍ أجـــابوا
وعَـــيْنُ المخطئـــين هُـــمُ، وليســـوا بـــأول معشـــر خطئـــوا فتـــابوا
وأنـــت حيـــاتهم غضـــبت علـــيهم وهَجْـــرُ حيـــاتهم لهـــمُ عقـــاب
ومـــا جهلـــتْ أياديَـــكَ البـــوادي ولكـــن ربمـــا خفـــى الصَّـــواب
وكـــم ذنـــبٍ مولَّـــدُهُ دلالٌ وكـــم بُعـــدٍ مولَّـــدُهُ اقتـــراب
وجـــرم جَـــرَّه ســـفهاء قـــوم وحـــلَّ بغيـــر جارمـــهِ العـــذاب

وهذا من أفعال الشعراء قديم مشهور. وقد افتخر به البحتري فقال في قصيدة له طويلة:

إن أبـــق وأهلـــك فقـــد نلـــتُ التـــي مـــلأتْ صـــدور أقـــاربي وعـــداتي
وغنيـــت نـــدمان الخلائـــف: نابهـــاً ذكـــرى، وناعمـــةً بهـــم نَشَـــواتي
وشـــفعتُ فـــي الأمـــر الجليـــل إلـــيهمُ بعـــد الجليـــل، فـــأنجحوا طلبـــاتي
وصنعتُ في العـــرب الصـــنائعَ عنـــدهم مـــن رِفْـــدِ طـــلاب وفـــكِّ عُنَـــاة[1]

وهذا يؤكد مكانة الشعر في العصر العباسي، وأنه مازال سفير قومه لدى الحكام والمسئولين، يرى مصلحة قومه فيطالب بها، ويشفع للجاني منهم فيشفع فيه.

المنصور يعفو عن كاتب ببيت من الشعر

وَجدَ أبو جعفر المنصور على أحد الكتاب وأمر به ليُضْرب، فقال:

ونحـــن الكـــاتبون وقـــد أســـأنا فهبنـــا للكـــرام الكاتبينـــا

فخلى سبيله إعجاباً ببديهته[2].

وقد مرت قصة الكتاب الذين حبسوا وأطلقهم المنصور بسبب أبياتٍ فيها هذا البيت، فلعل القصة واحدة، ولعلها مكررة في مواقف مختلفة، وكان الكاتـب الأول هـو صـاحب الأبيـات فاستعارها الثاني في موقف مشابه فنال حظه من العفو.

ونخلص من كل هذا إلى التأكيد على أثر الكلمة في نفوس الغاضبين وأنها تعمل عمـلاً طيباً، فتسل بها السخائم، وينال بها العطاء.

---

(١) العمدة ٦١/١ ، ٦٢. وانظر القصيدة بتمامها في ديوان المتنبي.
(٢) العمدة ٧٠/١.

الفصل الثالث

أبيات أعقبها تفكير وتغيير

وفي هذه المواقف تترتب أحكام وتتغير أحكام أخرى بعد سماع الشعر، إذ إن سلطان الكلمة يقوم مقام الخطبة والوعظ والتذكير، ويقوم مقام التشريع البشري أحياناً، فنجد في هذه الأشعار تنبيهات وإشارات إلى أشياء فاتت السامع؛ فرجع إليها وأخذ برأي الشاعر بعد سماع الأبيات.

في العصـــر الجاهـلي

قصة زواج حاتم الطائي من ماوية

أتى حاتم الطائي ماوية بنت عفرز يخطبها، فوجد عندها النابغة الذبياني (الشاعر الجاهلي المعروف) ورجلاً من النَّبيت يخطبانها، فقالت لهم ماوية، انقلبوا إلى رحالكم، وليقل كل منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه، فإني متزوجة أكرمكم وأشعركم، فانطلقوا ونحر كل منهم جزوراً، ولبست ماوية ثياباً لأمة لها واتبعتهم، فأتت النبيتي فاستطعمته فأطعمها ذنب جزوره، فأخذته، وأتت النابغة فأطعمها مثل ذلك فأخذته، وأتت حاتماً وقد نصب قدوره فاستطعمته، فقال: انتظري حتى تبلغ القدر إناها (يعني تبلغ منتهاها في النضج) فانتظرت حتى بلغت، فأطعمها أعظمها من العجز وقطعة من السنام وقطعة من الحارك (أعلى الكاهل)، ثم انصرفت، وأهدى إليها النابغة والنبيتي ظهري جزوريهما، وأهدى إليها حاتم مثل ما أهدى إلى امرأة من جاراته، وصبحوها، فاستنشدتهم، فأنشدها النبيتي:

هلا سألت هداك الله، ماحسبي	عند الشتاء إذا هبت الريحُ
ورد جازرهم حرفاً مصرمةً	في الرأس منها وفي الأنقاء تمليح

(الحرف من الإبل: النجيبة، المصرمة: المقطوعة الطبيين فلا يخرج اللبن وهذا أقوى لها، الأنقاء: هي من العظام ذوات المخ، التمليح: السمن).

إذا اللقاح غدت ملقى أصرتها	ولا كريم من الولدان مصبوح

(الأصرة: جمع صرار وهو ما يشد به ضرع الناقة. مصبوح: سقاء الصبوح).

ثم استنشدت النابغة فأنشدها:

هلا سألت بني ذبيان ما حسبي	إذ الدخائل تغشى الأشمط البرما

(الأشمط: الذي خالط سواد بقره ببياض. البرم: اللئيم)

وهبت الريح من تلقاء ذي أرل ... تجزي مع الصبح من صرادها صرما

(أرل: جبل بأرض غطفان، الصراد: سحاب بارد ليس فيه ماء. الصرم قطع من السحاب).

إني أتمم يساري وأمنحهم ... مثنى الأيادي وأكسو الجفنة الأدما

(مثنى الأيادي: الأنصباء التي كانت تفض من الجزور الميسر).

ثم استنشدت حاتماً فأنشدها:

أماوي إن المال غاد ورائح ... ويبقى من المال الأحاديث والذكر

أما إني لا أقول لسائل ... إذا جاء يوماً: قل في ما لنا نذر

أماوي إما مانع فمبيت ... وإما عطاء لا ينهنهه الزجر

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا أخذجت يوماً وضاق بها الصدر

أماوي إن يصبح صداي بقفرة ... من الأرض لا ماء لدي ولا خمر

ترى أن ما أنفقت لم يلي ضرني ... وأن يدي مما نجلت به صفر

وقد علم الأقوام لو أن حاتماً ... أراد ثراء المال كان له وفر

فلما فرغ من إنشاده دعت ماوية بالغداء فقدم إلى كل رجل ما كان أطعمها، فنكس النبيتي والنابغة رؤوسهما، فلما رأى حاتماً ذلك رما بالذي قدم إليهما، وأطعمهما مما قدم إليه، فتسللا لو أذاً، فتزوجت حاتماً[1].

وفي هذه القصة عدة جوانب منها: الصدق مع النفس في القول والعمل، فقد كان حاتم صادقاً في شعره وفي فعاله التي اطلعت عليها ماوية ومنها: كرم حاتم الذي لم يبلغه غيره من الرجلين اللذين كانا معه، لهذا وغيره أعجبت ماوية بحاتم – وحق لها أن تعجب – فتزوجته وتركت غيره.

---

(١) الشعر والشعراء، ٢٤٤/١:٢٤٧.

عـــروة بن الـــورد

من بني عبد القيس، وكان يلقب بعروة الصعاليك.

قال عبد الملك بن مروان: "ما يسرني أن أحداً من العرب ولدني إلا عروة بن الورد، لقوله":

إنـــي امـــرؤ عـــافي إنـــائي شـــركه — وأنـــت امـــرؤ فـــي إنائـــك واحـــد

أقسم جســـمي فـــي جســـومَ كثيـــرةٍ — وأحســـو قـــراح المـــاء والمـــاء البـــارد

أتهزأ منـــي أن ســـمنت وأن تـــرى — بجسمي مـــن الحـــقّ والحـــقّ جاهـــد[1]

فانظر إلى ملك يتمنى أن يكون من نسل صعلوك؛ لشرفه وعفته ولكرمه وحبه لغيره.

لبـــيـد والـــربـــيـــع بن زيـــاد

كان الربيع بن زياد من ندماء النعمان بن المنذر وكان فحّاشاً عيّاباً بذيّاً سباباً لا يسلم منه أحد ممن يفد على النعمان فرُمي بلبيد وهو غلام مراهق فنافسه وكان الطعام قد وُضع بين يـــدي النعمان وتقدم الربيع وحده ليأكل معه على عادته فقام لبيد فقال مرتجلاً:

يارُبَّ هَيجَا هـــي خيـــر مـــن دَعَـــهْ — نحـــن بنـــي أمِّ البنـــين الأربعـــه

ونحن خير عـــامر بـــن صَعصَـــعه — المطعمـــون الجفنـــة المدعدعـــة

والضاربون الهام تحـــت الخيضـــعه — مهلاً أبيـــت اللعـــن لا تأكـــل معـــه

فقال النعمان: "ولمه؟" فأجاب لبيد:

أن اســـــته مــــــن بَـــــرَص مُلَمَّعـــــه

فقال النعمان: "وما علينا من ذلك؟" فقال لبيد:

وإنـــــه يـــــولج فيهـــــا إصـــــبعه

يوريهـــا حتـــى يـــواري أشـــجعَه — كأنمـــا يطلـــب شـــيئاً ضـــيَّعه

---

(١) الشعر والشعراء ٢/٦٧٥، ٦٧٦. وانظر ترجمة عروة في الأغاني ٢/١٨٤.

فرفع النعمان يده عن الطعام، وقال: "ماتقول ياربيع؟" فقال الربيع: "أبيت اللعن كَذَب الغلامُ،" فقال لبيد: "مره فليجب،"

فقال النعمان: "أجبه ياربيع."

فقال: "والله لَما تسومني أنت من الخَسْف أشدُّ عليَّ مما عَضَهني به هذا لغلام."

فحجبه بعد ذلك وسقطت منزلته، وأراد الاعتذار، فقال النعمان:

قد قيل ماقيل إنْ حقاً وإن كَذبا ... فما اعتذارك من قول إذا قيلا[1]؟

وتلك عبقرية من لبيد العامري، حيث أسقط منزلة الربيع عند النعمان بهذه الأبيات، والعجيب في ذلك أنه كان طفل صغير!.

أوس بن حجر

أغير على إبل لحزن بن الحارث، فقال أوس بن حجر يحرض قيس بن عاصم:

سائل بها مولاك قيس بن عاصم ... فمولاك مولى السوء إن لم يُغيِرِ
لعمرك ما أدري أمن حَزَنِ محجنٍ ... شُعيث بن سهمٍ أم لحَزْن بن منقر
فما أنت بالمولى المضيِّع حقه ... وما أنت بالجار الضعيف المستَّر

فسعى قيس في إبله حتى ردها عن آخرها[2].

وهذه من عادات العرب الحسنة، فهم كثير ما كانوا يغيثون الملهوف ويكرمون الضيف، وقد أكد الإسلام على هذه الصفات الحميدة.

عبد يغوث الحارثي

وقع عبد يغوث بن وقاص الحارثي في أسر بن تيم يوم الكلاب، فشدوا لسانه بنسعة لئلا ينوح (وهذه عادة العرب خوفاً من الهجاء)، فسألهم أن يطلقوا لسانه لينوح على نفسه ففعلوا، فكان ينوح بهذه الأبيات:

---

(١) العمدة ١/٥٠، ٥٢.
(٢) البيان والتبيين، ٤/١٠١٠.

أقول وقد شدوا لساني بنسعة ... أمعشر تيم أطلقوا من لسانيا
وتضحك مني شيخة عبشمية ... كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانيا
كأني لم أركب جواداً ولم أقل ... لخيلي كُرِّي كرّةً عن رجاليا
فيا راكباً إما عرضت فبلغن ... نداماي من نجران أن لا تلاقيا
أبا كرب والأَيْهَمَيْن كليهما ... وقَيْساً بأعلى حضرموت اليمانيا

فلما وصل قومه هذا الشعر، قال قيس بن معديكرب الكندي: "لبيك وإن كنت أخرتني[1]"

(أبو كرب: بشر بن علقمة الحارثي. الأيهمان: الأسود بن علقمة العاقب هو عبد المسيح بن الأبيض.وقيس: هو قيس بن معديكرب الكندي، وهم جميعاً من أقيال اليمن وسادات قومهم).

وهذا أكبر دليل على تأثير الكلمة، فقد كانوا يربطون اللسان خوفاً من الكلمة المشينة بما فيها من دليل على النجدة.

امرأة أبي حمزة الضَّبي

هجرها زوجها حين ولدت له بنات، ومر يوماً بخبائها، فإذا بها تنشد:

ما لأبي حمزة لا يأتينا ... يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا ... تالله ما ذلك في أيدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا ... ونحن كالأرض لزارعينا

ننبت ما قد زرعوه فينا

فرقّ لها وصالحها[2].

وفيه دليل على معرفة العرب بالطب معرفة جيدة؛ حيث أثبت الطب الحديث أن الرجل هو المسئول عن تحديد نوع الجنين، ولا يخفى ما في الأبيات من قوة المشاعر ورهافة الأحاسيس التي غيرت موقف الرجل.

(١) البيان والتبيين، ١٠١٢/٤.
(٢) انظر العقد الفريد ٤٨٢/٣، بهجة المجالس ٧٦٤/٢.

الأعشـــى والمحـــلق

قدم الأعشى مكة وتسامع الناس به، وكان للمحلق امرأة عاقلة (وقيل بل أم). فقالت لـــه: "إن الأعشى قدم، وهو رجل مفوّه مجدود في الشعر، مامدح أحداً إلا رفعه، ولاهجــا أحــداً إلا وضعه، وأنت رجل كما علمت فقير خامل الذكر ذو بنات وعندنا لَقْحةٌ نعيش بها، فلــو سَــبقت الناس إليه فدعوته إلى الضيافة، ونحرت له، واحتلت لك فيما تشتري به شراباً يتعاطاه؛ لرجــوت لك حسن العاقبة." فسبق إليه المحلق فأنزله ونحر له، ووجد المرأة قد خبزت خبــزاً وأخرجــت نِحياً فيه سمن وجاءت بوَطْب لبن. فلما أكل الأعشى وأصحابه، وكان في عصابة قيسية، قدم إليه الشرابُ واخذت منه الكأس سأله عن حاله وعن عياله فعرف البؤس في كلامه، وذكــر البنــات، فقال الأعشى: "كُفيت أمرهن، وأصبح بعكاظ ينشد قصيدته:

أرقــت وماهــذا الســهاد المــؤرِّقُ ومابي مــن سُــقْمٍ ومــابي مَعْشَــق

ورأى المحلق اجتماع الناس، فوقف يستمع، وهو لايدري أين يريد الأعشى بقوله، إلـــى أن سمع:

نفى الــذم عــن آل المحلّــق جَفْنَــةٌ كجابيــة الشــيخ العراقــيِّ تفهــق

ترى القوم فيهــا شــارعين وبيــنهم مع القوم ولدان مــن النّســل دَرْدَق

لعمري لقد لاحــت عيــون كثيــرة إلى ضــوء نــار باليفــاع تحــرّق

تُشــب لمقـــرورَين يصـــطليانها وبات على النــار النّــدى والمحلــق

رَضــيعي لبـــان ثــدي أم تحالفـــا بأســـحمَ داج عَـــوْض لاتتفــرّق

ترى الجود يجري ظاهراً فوق وجهه كما زانَ مــتنَ الهنــدواني رَوْنَــق

فما أتم القصيدة إلا والناس ينسلون إلى المحلق يهنئونه، والأشــراف مــن كــل قبيلــة يتسابقون إليه جرياً يخطبون بناته، لمكان شعر الأعشى، فلم تُمْس منهن واحدة إلا فــي عصــمة رجل أفْضلَ من أبيها ألف ضعف[1].

فمديح الأعشى للمحلق، ووصفه بالجود والكرم وحسن الضيافة تسبب في تسابق النـــاس لخطبة بناته؛ لينالوا شرف هذا الكريم النبيل.

---

(١) العمدة ٤٨/١ ، ٤٩.

علقمة يشفع عند الحارث بن أبي شمر

لما قتل الحارث بن أبي شمر الغساني المنذر بن ماء السماء – وهو المنذر الأكبر وماء السماء أمه –أسر جماعة من أصحابه، وكان فيمن أسر شاس بن عَبَدةَ في تسعين رجلاً من بني تميم، وبلغ ذلك أخاه علقمة بن عبدة الشاعر صاحب امرئ القيس، والمعروف بعلقمة الفحل، فقصد لحارث ممتدحاً بقصيدته المشهورة التي أولها:

طَحَا بك قلبٌ بالحسان طروبُ	بُعَيْد الشباب عَصرَ حان مشيب

فأنشده إياها، حتى إذا بلغ إلى قوله:

إلى الحارث الوهاب أعملت ناقتي	لكَلكَلها والقُصارَيين وَجيبُ
إليك – أبيت اللعن – كان وجيفها	بمشتبهات هولهن مَهيب
هداني إليك الفرقدان وَلاحبٌ	له فوق أعلام المتان علوب
فلا تحرمنّي نائلاً عن جنايةٍ	فإني امرؤ وسطَ القباب غريب
وفي كل حيٍّ قد خبطت بنعمةٍ	فحُقَّ لشاس من نَداكَ ذنوب

فقال الحارث: "نعم وأَذْنِبةٌ، وأطلق له شاساً أخاه، وجماعة أسرى من بني تميم، ومن سأل فيه أو عرَفه من غيرهم[1].

الملك عمرو بن هند والحارث اليشكري

أنشد الحارث بن حلزة اليشكري – وكان أبرص – الملك عمرو بن هند – قصيدته:

آذنتنا ببينها أسماءُ	رُب ثاوٍ يمل منه الشعراء

وكان بينه وبين الملك سبعة حُجُب، فما زال يرفعها حجاباً حجاباً لحُسن مايسمع من شعره حتى لم يبق بينهما حجاب، ثم أدناه وقرّبه[2].

فجودة الشعر وحسن الإنشاد كانا سبباً في تغيير الملك من عاداته في وضع الحجب بينه وبين الناس، فلم يتمالك نفسه من جودة ما سمع إلا أن رفع الحجب وجالس الأبرص وآكله.

---

(١) العمدة ٥٧/١.
(٢) العمدة ٤٤/١.

الرسول ﷺ وقُتَيلة بنت النضر

قيل أن قُتَيْلة بنت النضر بن الحارث عرضت للنبي ﷺ وهو يطوف، فاستوقفته وجذبت ردائه حتى انكشف منكبه، وقد كان قتل أباها فأنشدته:

ياراكباً إن الأُثَيْلَ مَظِنَّةٌ	من صبح خامسة وأنت موفّق
أبلغ به ميتاً بأن قصيدة	ما إن تزال بها الركائب تخفق
مني إليه وعبرة مسفوحة	جادت لمائحها وأخرى تخنق
فليسمعنَّ النضر إن ناديته	أم كيف يسمع ميّتٌ لاينطق
ظلَّت سيوف بني أبيه تَنُوشُه	لله أرحام هناك تُشَقَّقُ
قسراً يقاد إلى المنية متعباً	رَسْفَ المقَيَّد وهو عانٍ مُوثَق
أمحمدٌ هاأنت نجل نجيبة	من قومها والفحل فحلٌ مُعْرِق
ماكان ضَرّك لو مننتَ وربما	منَّ الفتى وهو المغيظ المحنق
والنَّضر أقرب مَنْ قتلْتَ وسيلةً	وأحقهم إن كان عتقٌ يعتق

فقال النبي ﷺ : "لو كنت سمعت شعرها هذا ماقتلته[1]."

فتراجع النبي – صلى الله عليه وسلم – بسبب سماع هذه الأبيات ورق لابنة النضر وكان النضر في أسارى بدر ولم يقبل النبي الكريم فداءه وإنما هذا التراجع أو التمني لعدم قتل الرجل كان في أمرٍ دنيوي ليس فيه وحي، وإلا لما تراجع المصطفى عن فعله.

العباس بن مرداس

هو العباس بن مرداس السلمي، ومرداس: الحصاة التي يرمى بها في البئر ليظهر هل فيها ماء أو لا.

يروى أن –النبي صلى الله عليه وسلم– أعطى المؤلفة قلوبهم يوم حنين، فأعطى أبا سفيان بن حرب مئة من الإبل، وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل، وأعطى العباس بن مرداس دون المئة، فقام بين يدي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال:

---

(١) العمدة ٥٦/١.

أتجعـــل نهبـــي ونهـــب العيـــد ... د بــــين عيينـــــة والأقـــــرع

ومـــا كـــان بـــدر ولا حـــابس ... يفوقــــان مــــرداس فــــي مجمــــع

ومـــا كنـــت دون امـــرئ منهمـــا ... ومـــن تضـــع اليـــوم لا يرفـــع

فأتم له النبي صلى الله عليه وسلم مائة[1].

فتأثر النبي صلى الله عليه وسلم – بهذا الشعر وغير رأيه في العطاء وزاد الشعر حتـى أوصله إلى نصيب رفيقيه، وفيها هذا من تأليف القلوب ما فيه.

أبـو محجـــن الـثـقـفي

كان مولعاً بالشراب مشتهراً به، وكان سعد بن أبي وقاص حبسه فيه، فلمـا كـان يـوم القادسية وبلغه ما يفعل المشركون بالمسلمين، وهو عند أم ولد لسعد، قال:

كفى حزناً أن تطعـن الخيـل بالقنـا ... وأتـــرك مشـــدوداً علـــي وثاقيـــا

إذاقمت عناني في الحديـد وغلقـت ... مقاليـــد مـــن دونـــي تصـــم المناديـــا

وقد كنـت ذا أهـل كثيـر وأخـوة ... فقـد تركـوني واحـداً لا أخـا ليـا

هلـم سـلاحي لا أبـا لـك إنني ... أرى الحـــرب لا تـــزداد إلا تماديـــا

فقالت له أم ولد سعد: أتعجل لي إن أنا أطلقتك أن ترجع حتى أعيدك في الوثاق؟

قال: نعم، فأطلقته، وركب فرساً لسعد بلقاء، وحمل على المشركين، فجعل سعد يقول: لـولا أن أبا محجن بالوثاق لظننت أنه أبو محجن وهذه فرسي. وانكشف المشركون، وجاء أبـو محجـن فأعادته في الوثاق، وأتت سعداً فأخبرته، فأرسل إلى أبي محجن فأطلقه، وقال: والله لا حبسـتك فيها أبداً، قال أبو محجن: وأنا والله لا أشربها بعد اليوم أبداً[2].

فتأمل هذا الوفاء للعهد وهذه المغالبة للنفس الأمارة مقابل هذا الكرم الفياض.

(١) المصدر نفسه ٣٠٠/١.
(٢) الشعر والشعراء، ٤٢٣/١.

سفر الحطيئة

أراد الحطيئة السفر يوماً فقال لزوجته:

عُدّي السنين لغيبتي وتصبّري	وذري الشهور فإنهن قصار

فأجابته:

اذكر صبابتنا إليك وشوقنا	وارحم بناتك إنهن صغار

فأقام وترك سفره[١].

فاستطاعت زوجته أن تحرك فيه مشاعر الزوجية وعاطفة الأبوة بهذا البيت الرقيق فتراجع الحطيئة عن السفر وفضل الإقامة بين زوج تحبه وبنات يحتجن إلى عطفه.

الحطيئة وبنو أنف الناقة

كان بنو أنف الناقة يَفْرَقون من هذا الاسم، حتى أن الرجل منهم يُسأل ممن هو، فيقول: "من بني قريع،" فيتجاوز جعفراً أنف الناقة بن قريع بن عوف بن مالك ويلغي ذكره فراراً من هذا اللقب، إلى أن نقل أحدهم الحطيئة (وهو بغيض بن عامر بن لؤي بن شماس بن جعفر أنف الناقة) من ضيافة الزبرقان بن بدر إلى ضيافته وأحسن إليه، فقال الحطيئة:

سيري أُمامُ فإن الأكثرين حصىً	والأكرمين إذا ماينُسبون أبا
قوم هم الأنف والأذناب غيرهم	ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا؟

فصاروا يتطاولون بهذا النسب ويمدون به أصواتهم في جَهارة. وإنما سمي بن جعفر أنف الناقة لأن أباه قَسَم ناقة جزورا ونسيه فبعثته أمه ولم يبق إلا رأس الناقة فقال له أبوه: "شأنك بهذا." فأدخل أصابعه في أنف الناقة وأقبل يجرّه فسمي بذلك[٢].

فانظر إلى عبقرية الحطيئة وتفننه في قلب الذم مدحاً، فركب من الألفاظ والمعاني صورة حسنة تتطاول بها الأعناق وتهفو إليها أفئدة القوم؛ فمحا بذلك عاراً طالما خجلوا منه.

---

(١) عيون الأخبار ١/١٤١، و بهجة المجالس ١/٢٢٧.
(٢) العمدة ١/٥٠.

النجـاشـــي وبنو العــجــلان

كان بنو العَجلان قوماً يفخرون باسمهم لقصّة كانت لصاحبه في تعجيل قرَى الأضياف، إلى أن هجاهم به النجاشي فضجروا منه، وسبّوا به، واستعدَوْا عليه عمر بن الخطاب ﷺ فقالوا: يأمير المؤمنين هجانا،" فقال: "وماقال؟" فأنشدوه:

إذا الله عـــادى أهـــل لـــؤم ورقـــة   فعادى بني عجلان رهط ابـــن مُقْبِـــلِ

فقال عمر بن الخطاب: "إنما دعا عليكم ولعله لا يُجاب،" فقالوا: "إنه قال":

قبيلـــــة لا يغـــــدرون بذمــــــة   ولا يظلمـــون النـــاس حبَّـــة خَـــرْدَل

فقال عمر ﷺ: "ليت آل الخطاب كذلك،" قالوا: "فإنه قال":

ولا يــــردون المــــاء إلا عشـــــيةً   إذا صدر الوُرَّادُ عـــن كـــل منْهَـــل

فقال عمر ﷺ: "ذلك أقل للسكاك، يعني الزحام،" قالوا: "فإنه قال":

تعافُ الكلابُ الضارياتُ لحومهُم   وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

فقال عمر ﷺ: "كفى ضياعاً من تأكل الكلاب لحمه،" قالوا: "فإنه قال":

ومـــا ســـمي العَجْـــلاَنَ إلا لقـــولهم   خذ القَعْبَ واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر ﷺ: "كلنا عبدٌ، وخيرُ القوم خادمهم." فقالوا: "يا أمير المؤمنين هجانا،" فقال: "ما أسمع ذلك." فقالوا: "فاسأل حسان بن ثابت،" فسأله فقال: "ماهجاهم ولكن سلح عليهم." وكان عمر رضي الله عنه أبصرُ الناس بما قال النجاشي، ولكن أراد أن يدرأ الحدَّ بالشبهات، فلما قال حسان ما قال سجن النجاشي، وقيل: إنه حدّه[١].

وحكم حسان في النجاشي يشبه حكمه في الحطيئة مع الزبرقان بن بدر، وهو قوله (قـــد سلح عليه) لأن حسان – رضي الله عنه – أبصر بمواقع الهجاء وأوجعه.

---

(١) العمدة ٥٢/١.

أمية بن حرثان يشفع عند عمر بن الخطاب

أمية بن حرثان بن الأسكر الليثي (من ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة) شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وكان من سادات قومه وفرسانهم، وابنه كلاب أدرك النبي ﷺ فأسلم مع أبيه. وكان ابنه كلاب قد سأل عمر ﷺ أن يغزيه فأغزاه في جيش إلى البصرة، وكان الأب قد كبر وضعف، فلما طالت عليه غيبة ابنه قال هذا الشعر:

سأستعدي على الفاروق ربـاً	لـه عَمَـدَ الحجيـج إلى بُسَـاق
إن الفاروق لـم يـردُدْ كلابـاً	علـى شـيخين هامهمـا زَوَاقِـي

فكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري بإشخاص كلاب، فما شعر أمية به إلا يقرع الباب. وما زالت الشعراء قديماً تشفع عند الملوك والأمراء لأبنائها وذوي قرابتها، فيشفعون بشفاعاتهم، وينالون الرتب بهم[1].

وقد أثار الشعر عاطفة الرحمة عند عمر فرحم أبوين كبيرين ورد لهمـا ولـدهما مـن الغزو.

امـرأة غـاب عنها زوجها

خرج عمر بن الخطاب – رضي الله عنه ذات ليلة يطوف بالمدينة، وكان يفعـل ذلـك كثيراً، فمر بامرأة من نساء العرب مغلقة عليها بابها وهي تقول:

تطـاول هـذا الليـل تسـري كواكبـه	وأرقنـي أن لا خليـل ألاعبـه
ألاعبـه طـوراً وطـوراً كأنمـا	بدا قمـر فـي ظلمـة الليـل حاجبـه
يسـر بـه مـن كـان يلهـو بقربـه	يعـاتبني فـي حبـه وأعاتبـه
فـو الله لـولا الله لا شـيء غيـره	لزحزح مـن هـذا السـرير جوانبـه
ولكننـي أخشـى رقيبـاً مـوكلاً	بأنفسـنا لا يفتـر الـدهر كاتبـه

(١) العمدة ٥٨/١.

ثم تنفست الصعداء وقالت: لهان على عمر بن الخطاب وحشتي وغيبة زوجي عني، وعمر واقف يستمع قولها فقال يرحمك الله يرحمك الله ثم وجه إليها بكسوة ونفقة وكتب في أن يقدم عليها زوجها.

فاستماع عمر للأبيات جعله يفكر ويغير قراره واتخذ قراراً بألا يغيب زوج عن زوجته فوق ستة أشهر.

علي بن أبي طالب وأعرابي

وقف أعرابي على علي بن أبي طالب ﷺ فقال: "إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك، فإن أنت قضيتها عدت إلى الله تعالى وشكرتك، وإن لم تقضها حمدت الله وعذرتك." فقال له علي: "خُط حاجتك على الأرض فإني أرى الضُّر عليك." فكتب الأعرابي على الأرض: "... إني فقير." فقال علي: "ياقنبر، ادفع إليه حلتي الفلانية." فلما أخذها الأعرابي مثل بين يديه فقال:

كسوتني حلّة تبلى محاسنها	فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه	كالغيث يحي نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به	فكل عبد سيُجزى بالذي فعلا

فقال علي ﷺ: "ياقنبر، أعطه خمسين ديناراً، أما الحلة فلمسألتك، وأما الدنانير فلأدبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول (أنزلوا الناس منازلهم)[1].

---

(١) العمدة ٢٩/١.

معاوية يوم صفّين

قال معاوية ﷺ: لقد رأيتني ليلة الهرير بصفّين – وقد أُتيت بفرس أغرّ محجّل بعيد البطن من الأرض، وأنا أريد الهرب لشدة البلوى – فما حملني على الإقامة إلا أبيات عمرو بن الإطنابة":

أبت لي همتي وأبى بلائي	وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإقحامي على المكروه نفسي	وضربي هامة البطل الكشيح
وقولي كلما هدأت وجاشت	مكانك تُحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات	وأحمي بعد عن عرض صحيح[1]

وفرار معاوية ليس عن جبن وإنما لشدة الواقعة واشتداد المعركة، فلما تذكر أبيات الحماسة والفخر بالشجاعة والثبات ثبت ولم يفر.

جرير يهجو الأخطل وبني تغلب

هجا جرير بن عطية الأخطل وهو من تغلب فقال:

لا تطلبن خؤولة في تغلب	فالزنج أكرم منهم أخوالا
لو أن تغلب جمّعت أحسابها	يوم التفاخر لم تزن مثقالا
تلقاهمُ حلماء عن أعدائهم	وعلى الصديق تراهم جهالا
والتغلبي إذا تنحنح للقِرى	حكَّ استه وتمثَّل الأمثالا

فقال رجل من بني تغلب وكان ظريفاً: "ما لقي من تغلب ما لقيت أنا!" فقيل له: "وكيف ذاك؟" قال: "قول الشاعر (وذكر الأبيات) والله إني لأتوهم أن لو نهشت استي الأفاعي ما حككتها"[2].

---

(١) العمدة ٢٩/١.
(٢) البيان والتبيين ١٠٣٩/٤.

جـــريـــر

قال جرير بن عطية يعاتب المهاجر بن عبد الله:

يا قيس عيلان إني قد نصـــبت لكـــم ... بـــالمنجنيق ولمـــا أرســـل الحجـــرا

يريد أنه جهز الكلام ولم يرسله بعد.

فوثب المهاجر فأخذ بحقوه وقال: لك العتبى يا أبا حزرة، لا ترسله[1].

وفيه أقوى دليل على الخوف من الكلمة، فإن المهاجر وثب وثباً سريعاً ونادى جرير بكنيته تلطفاً معه، ورجاه ألا يرسل حجره (كلمته)!.

الحجـــاج والأعـــرابي

دخل أعرابي على الحجاج فسمعه يقول: "لا تكتمل النعمة على المرء حتى يـــنكح أربـــع نسوة يجتمعن عنده." فانصرف الأعرابي فباع متاع بيته وتزوّج أربع نسوة، فلم توافقـــه مـــنهن واحدة: خرجت واحدة حمقاء رعناء، والثانية متبرّجة والثالثة فارك، والرابعة مذكَّرة. فدخل على الحجاج فقال: "أصلح الله الأمير، سمعت منك كلاماً أردت أن تتم لي به قرة عين؛ فبعت جميـــع ماأملك حتى تزوّجت أربع نسوة، فلم توافقني منهن واحدة، وقد قلت فيهن شعراً فاســـمع منـــي." قال: "قل،" فقال:

تزوّجـــت أبغـــي قـــرة العـــين أربعـــا ... فيـــا ليـــت أنـــي لـــم أكـــن أتـــزوّجُ

ويـــاليتني أعمـــى أصـــم ولـــم أكـــن ... تزوّجـــت بـــل ياليـــت أنـــي مخـــدّجُ

فواحـــــدة لاتعـــــر الله ربهـــــا ... ولا ما التقـــى تـــدري ولا مـــا التحـــرّجُ

وثانيـــــة مـــــا إن تقـــــرّ ببيتهـــــا ... مـــــذكّرة مشـــــهورة تتبـــــرّجُ

وثالثـــــة حمقـــــاء رعـــــن ســـــخيفة ... فكـــل الـــذي تـــأتي مـــن الأمـــر أعـــوجُ

ورابعـــــة مفروكـــــة ذات شـــــرّة ... فليست بها نفســـي مـــدى الـــدهر تـــبهجُ

فهـــــن طـــــلاقٌ كلهـــــن بـــــوائنٌ ... ثلاثـــاً ثلاثـــاً فاشـــهدوا لا تلجلجـــوا

فضحك الحجاج حتى كاد يسقط من سريره، ثم قال: "كم مهورهن؟" قال: "أربعـــة آلاف درهم." فأمر له بثمانية آلاف درهم[2].

---

(١) البيان والتبيين ١٠٢٦/٤.
(٢) بهجة المجالس ٣٤/٣ ، ٣٥.

عبـد المـلك بـن مـروان وامـرأة

بعث عبد الملك بن مروان بعثاً إلى اليمن، فأقاموا سنين حتى إذا كان ذات ليلة وهو بدمشق قال: "والله لأعُسّنّ الليلة مدينة دمشق، ولأسمعن مايقول الناس في البعث الذي غرّبت فيه رجالهم." فسمع امرأة تصلي فتمسمّع لها، فلما انصرفت إلى مضجعها، أنشأت تقول:

تطاول هذا الليل فالعين تدمع — وأرّقني حزني وقلبي موجعُ
فبتُّ أقاسي الليل أرعى نجومه — وبات فؤادي هامداً يتفزّعُ
إذا غاب منها كوكب في مغيبه — لمحت بعيني آخراً حين يطلعُ
إذا ماذكرت الذي كان بيننا — وجدت فؤادي للهوى يتقطعُ
وكل حبيب ذاكر لحبيبه — يرجي لقاه كل يوم ويطمعُ
فذا العرش فرّج ماترى من صبابتي — فأنت الذي ترعى أموري وتسمعُ
دعوتك في السّراء والضُر دعوةً — على غُلةٍ بين الشراسيف تلذعُ

فقال عبد الملك لحاجبه: "تعرف لمن هذا المنزل؟" قال: "نعم، هذا منزل زيد بن سنان." قال: "فما المرأة منه؟" قال: "زوجته." فلما أصبح سأل كم تصبر المرأة عن زوجها؟ قالوا ستة أشهر. فأمر ألا لايمكث العسكر أكثر من ثلاثة أشهر(١).

فالأبيات وما بها من وحشة كانت سبباً في إصدار حكم بتوقيت المغيب في البعث بحيث لا يزيد الزوج في غيبته أكثر من ثلاثة أشهر، وتلك من فطنة عبد الملك، وقد مرت قصة مماثلة مع عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – مع اختلاف في مدة التوقيت.

جـريــر وبنــو الـنمـير

وممن وضعه ماقيل فيه من الشعر حتى انكسر نسبه وسقط عن رتبته وعيب بفضيلته – بنو نُمَيْر وكانوا جمرة من جَمَرات العرب إذا سئل أحدهم: "ممن الرجل؟" فخّم صوته ومد لفظه وقال: "من بني نمير." إلى أن صنع جرير قصيدته التي هجا بها عُبيد بن حُصين الراعي، فسهر لها، وطالت ليلته إلى أن قال:

---

(١) بهجة المجالس ٣/٤٦، ٤٧.

فغــضَّ الطّــرف إنــك مــن نميــر | فــلا كعبــاً بلغــت ولا كلابــا

فأطفأ سراجه ونام، وقال: "قد والله أخزيتهم إلى آخر الدهر، فلم يرفعوا رأساً بعـدها إلا نكس بهذا البيت، حتى إن مولىً لباهلة كان يرد سوق البصرة ممتاراً فيصيح بــه بنــو نميــر: "ياجُواذبَ (شسع النعل) باهلة، فقص الخبر على مواليه وقد ضجر من ذلك فقالوا له، إذا نبــزوك فقل لهم:

فغــضَّ الطّــرف إنــك مــن نميــر | فــلا كعبــاً بلغــت ولا كلابــا

ومرّ بهم بعد ذلك فنبزوه، وأراد البيت فنسيه، فقال: "غمِّض وإلا جاءك ماتكره، فكفّــوا عنه ولم يعرضوا له بعدها.

ومرّت امرأة ببعض مجالس بني نمير فأداموا النظر إليها فقالت: "قبّحكم الله يابني نمير! ماقبلتم قول الله عز وجل: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم)، ولا قول الشاعر:

فغــضَّ الطّــرف إنــك مــن نميــر | فــلا كعبــاً بلغــت ولا كلابــا

فقد تركت بني نمير ينتسبون بالبصرة إلى عامر بن صعصعة، ويتجاوزون أباهم نميــراً إلى أبيه هرباً نم ذكر نمير، وفراراً مما وُسِم به من الفضيحة والوصمة[1].

وكان جرير يعرف مواطن الهجاء الموجع، فحط نميراً عن مكانتها وأنزلها من رتبتهــا، فكان النميري يخجل من انتسابه لنمير بعد ذلك لوضاعة نسبه.

عبد الله بن همام

هو عبد الله بن همام بن نبيشة بن رياح السلولي، من بني مرة بــن صعصــعة، شــاعر إسلامي أدرك معاوية وبقي إلى أيام سليمان بن عبد الملك، كان يقال لــه العطــار لجــودة شعره. توفي نحو سنة ١٠٠هـ.

---

(١) العمدة ٥٠/١.

لما مات عبد الملك بن مروان صعد المنبر ابنه الوليد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (لـم أر مثلها مصيبة ولم أر مثلها ثواباً، موت أمير المؤمنين والخلافة بعده، إنا لله وإنا إليه راجعـون على المصيبة، والحمد لله على النعمة، انهضوا فبايعوا على بركة الله رحمكم الله).

فقام إليه عبد الله بن همام فقال:

الله أعطـاك التـي لا فوقهـا ... وقـد أراد الملحـدون عوقهـا

عنـك ويـأبى الله إلا سـوقها ... إليـك حتـى قلـدوك طوقهـا

فبايع الناس[1].

فكأن الشاعر أطلق الشرارة الأولى التي ينتظرها الناس، وهكذا الناس في كل موقف يحتاجون لإطلاق الشرارة للتجاوب مع الموقف خيراً كان أو شراً.

عمـر بـن أبـي ربـيـعـة

هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، من بني مخزوم، ويكنى أبـا الخطـاب. وأبو جهل بن هشام بن المغيرة ابن عم أبيه.

وكان عمر فاسقاً يتعرض للنساء الحواج في الطواف وغيره من مشاعر الحج ويشـبب بهن، فسيره عمر بن عبد العزيز إلى الدهلك، ثم ختم له بالشهادة. قال عبد الله بن عمـر: فـاز عمر بن أبي ربيعة بالدنيا والآخرة. غزا في البحر فأحرقوا سفينته فاحترق.

شبب بابنة لعبد الملك بن مروان وهي حاجة، ولها يقول:

افعلـي بالأسـير إحـدى ثـلاث ... وافهمـيهن ثـم ردي جـوابي

اقتليـه قـتلاً تسـريحاً مريحـاً ... لا تكـوني عليـه سـوط عـذاب

أو أقيـدي فإنمـا الـنفس بالنفـ ... ـس قضـاء مفضـلاً فـي الكتـاب

أوصـليه وصـلا يقـر عليـه ... إن شـر الوصـال وصـل كـذاب

فأعطت الذي أتاها بالشعر لكل بيت عشرة دنانير[2]!

---

(1) البيان والتبيين، ١/٣٧٦، ٣٧٧

(2) الشعر والشعراء، ٢/٥٥٥.

ونحن لا نعتب على عمر وحده في تلك الأفعال المشينة في الحج، وإنما نعتب على من ساعده أيضاً كما في هذه القصة، فلو رفعت بنت عبد الملك الأمر إلى أبيها لكانت جادة في نهي عمر عن العبث ولكنها النساء التي تغريهن الكلمة كما قال أحمد شوقي:

خدعوها بقولهم حسناء ... والغواني يغرهن الثناء

طفلة تقول الشعر

كان عدي بن الرقاع شاعراً، وكان غائباً عن بيته، فجاء ناس من الشعراء ليعارضوه في الشعر، فسمعت بنته وهي صغيرة لم تدرك بعض وعيدهم، فخرجت إليهم وهي تقول:

تجمعتم من كل أوب وبلدةٍ ... على واحد لا زلتم قرن واحد

فانصرفوا عنه ولم يهاجوه[١].

وهذا من البر الذي فعلته تلك الطفلة الصغيرة، وقد حاربتهم بنفس سلاحهم وهو الشعر وأخبرتهم أنه عار عليهم هذا التجمع على رجل واحد فكانوا أن انصرفوا بغير هجاء، وذلك بسبب بيت واحد من الشعر.

خلف بن خليفة

سأل خلف أبان بن الوليد أن يهب له جاريه فوعده، فابطأت عليه، فكتب خلف إليه:

أرى حاجتي عند الأمير كأنها ... تهم زماناً عنده بمقام

وأحصر كارها إن لقيته ... وصدق المياه ملجم بلجام

أراها إذا كان النهار نسيئة ... وبالليل تقضى عند كل منام

فيا رب أخرجها فإنك مخرج ... من الميت حياً مفصحاً بكلام

فتعلم ما شكري إذا ما قبضتها ... وكيف صلاتي عندها وصيامي

وإن حاجتي من بعد هذا تأخرت ... خشيت لها بي أن أزور غلامي

فضحك أبان وبعث إليه بجارية[٢].

---

(١) المصدر نفسه ، ٦١٨/٢

(٢) الشعر والشعراء ٧١٥/٢.

زيـــاد بن الأعجـــم والفـــرزدق

ممن حمى قبيلته زياد الأعجم، وذلك أن الفرزدق همَّ بهجاء عبد القيس، فبلغ ذلك زيـــاداً وهو منهم، فبعث إليه: "لا تعجل وأنا مُهْدٍ إليك هدية،" فانتظر الفرزدق الهدية، فجاءه من عنده:

فما ترك الهـــاجون لـــي إنْ هجوتـــه	مُصَحاً أراه فـــي أديـــم الفـــرزدق
ولا تركوا عظماً يرى تحـــت لحمـــه	لِكاسِـــــرهِ أبقـــــوه للمتعـــــرق
سأكسر ما أبقـــوا لـــه مـــن عظامـــه	وأنكت مخَّ الســـاق منـــه وأنتقـــي
فإنـــا ومـــا تُهـــدى لنـــا إن هجوتنـــا	لكالبحر مهما يُلْقَ في البحر يغـــرق

فلما بلغته الأبيات كف عما أراد، وقال: لا سبيل إلى هجاء هؤلاء ما عاش هذا العبد فيهم[1].

فقد عجز الفرزدق عن الإجابة على هذا العبد، وأخذ على نفسه عهداً بعدم هجائه للقـــوم مادام زياد فيهم.

خـــالـــد بن صفوان بن الأهتم

خرج هشام بن عبد الملك على حاشيته وأهله وقرابته ونزل في مكان أخذت الأرض فيه زينتها من اختلاف ألوان نبتها من نور ربيع مونق فهو في أحسن منظر مستمطر بصـــعيد كـــأن ترابه قطع الكافور حتى لو أن قطعة لحم ألقيت فيه لم تترب، وكان عليه عمامة من خز أحمـــر، وكان من بين جلسائه خالد بن صفوان بن الأهتم فنظر إليه هشام كأنه يستنطقه، فأثنى خالد بـــن صفوان على نعم الله عز وجل على هشام ثم استأذنه في الوعظ فأذن له، فوعظه وذكره بالله عز وجل وذكر النعيم الزائل أسوة بمن قبله من الملوك، ثم ذكر أبيات عدي بن زيد العبـــادي التـــي يقول فيها:

أيهـــا الشـــامت المعيـــر بالـــدهر	أأنـــــت المبـــــرأ الموفـــــور
أم لـــــديك العهـــــد الوثيـــــق	من الأيـــام بـــل أنـــت جاهـــل مغـــرور
مـــن رأيـــت المنـــون خلـــدن أم	من ذا من عليه مـــن أن يضـــام خفيـــر
أيـــن كســـرى كســـرى الملـــوك	أبـــو ساســـان أم مـــن قبلـــه ســـابور

---

(١) العمدة ٦٥/١.

وبنو الأصفر الكرام ملوك ... الروم لم يبق منهمو مذكور
وأخو الحضن إذ بناه وإذا ... دجلة تجبي إليه والخابور
شاده مرمراً وجلله كلساً ... فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد ... الملك عنه فبابه مهجور
وتأمل رب الخورنق إذ ... أشرف يوماً وللهدى تفكير
سره حاله وكثرة ما يملك ... والبحر معرض والسدير
فارعوى قلبه فقال وما ... غبطة حي في الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك ... والأمة وارتهم هناك القبور
ثم أضحوا كأنهم ورق ... جف فألوت به الصبا والدبور

فبكى هشام حتى اخضلت لحيته وبل عمامته وأمر بنزع أبنيته وبنقلان قرابته وحشمه وحاشيته من جلسائه ولزوم قصره. فاحتمقت الموالي والحشم على خالد فقالوا: ما أرت إلى أمير المؤمنين نقضت عليه لذته وأفسدت عليه مأدبته؟ فقال لهم: إليكم عني، فإني عاهدت الله أن لا أخلو بملك إلا ذكرته الله عزوجل[١].

وإنما أثر الوعظ في هشام لسببين: صدق الواعظ وإخلاصه في النصيحة، والاستعداد الفطري لدى الموعوظ؛ إذ كل نفس مجبولة على الخير وإنما تحتاج للتذكير والوعظ من حين لآخر، ولهذا قال الله تعالى: [وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين].

---

(١) الذهب المسبوك في وعظ الملوك، ص: ١٨٣ : ١٨٦.

يحيى بن منصور وسليمان بن علي

مات ابن لسليمان بن علي فجزع عليه جزعاً شديداً، وامتنع من الطعام والشراب، وجعل الناس يعزونه فلا يحفل بذلك، فدخل عليه يحيى بن منصور فقال: عليكم نزل كتاب الله فأنتم أعلم بفرائضه، ومنكم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنتم أعرف بسنته، ولست ممن يقوم من جهل، ولا يقوم من عوج، ولكنني أعزيك ببيت من شعر، قال: هاته، قال يحيى:

وأهون ما ألقى من الوجد أنني ساكنه ... أساكنه في داره اليوم وغداً

قال سليمان: أعد، فأعاد، فقال: يا غلام الغداء [1].

والتأثير إنما أتى من الضرب على وتر المشاعر والأحاسيس وليس بالكلمات العادية التي أكثر منها الناس قبله، وإنما خاطب الشاعر الوجدان الجريح والمشاعر المنكسرة بشيء حقيقي وهو موت البشر جميعاً، ولكن بأسلوب الشعر الرقيق المؤثر فأصاب موقعاً.

أبو العتاهية والرشيد

جلس هارون الرشيد يوماً بعد أن زخرف مجالسه، وبالغ فيها، ووضع فيها طعاماً كثيراً، ثم بعث إلى أبي العتاهية فأتاه، فقال له:

صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا، فأنشأ يقول:

عش ما بدا لك سالماً ... في ظل شاهقة القصور

فقال الرشيد: أحسنت، ثم ماذا، فقال أبو العتاهية:

يسعى عليك بما اشتهيت ... لدى الرواح وفي البكور

قال الرشيد: حسن أيضاً، ماذا، فقال أبو العتاهية:

فإذا النفوس تقعقعت ... في ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقناً ... ما كنت إلا في غرور

---

(١) البيان والتبيين، ١٠٥٠/٤.

فبكى هارون، فقال له الفضل بن يحيى (البرمكي): بعث إليك أمير المؤمنين لتسره فأحزنته. فقال له هارون: دعه فإنه رآنا في عمىً فكره أن يزيدنا عمىً [1].

هنا جرأة من أبي العتاهية وإن كانت غير مباشرة، ولكن النصح أثر في هارون فأقلع عما هو فيه من المبالغة في النعيم، كما نلمح أثر بطانة السوء في تشويه الحقائق ومحاولة الاستمرار في الطغيان.

العباس بن الأحنف والرشيد

هجر الرشيد جارية له، ونفسه بها متعلقة، وكان يتوقع أن تبدأه بالترضي، فلم تفعل الجارية ذلك، حتى أقلقته وأرقته، وبلغ ذلك العباس بن الأحنف، فقال:

صدت مغاضبة وصد مغاضباً	وكلاهما مما يعالج متعب
إن التجنب إن تطاول منكما	دب السلو له فعز المطلب

وبعث إليه بالبيتين، وبعث إليه ببيتين آخرين هما:

لا بد للعاشق من وقفة	تكون بين الوصل والقرم
حتى إذا الهجر تمادى به	راجع من يهوى على رغم

فاستحسن الرشيد إصابته حاليها، وقال: أراجعها والله، مبتدئاً على رغم، وفضل ذلك، وأمر للعباس بصلة سنيه، وأمرت له الجارية بمثلها[2].

حماد وبشار بن برد

هجا حمّاد بشار بن برد بقصيدة داليّة طويلة، وظل بشار يسمع القصيدة بيتاً بيتاً وهو يعقّب على كل بيت بالكذب حتى بلغ قوله:

---

(1) الذهب المسبوك ص ٢١٨.
(2) الشعر والشعراء، ٨٣١/٢.

وأعمـــــى يشـــــبه قـــــردا	إذا مـــــاعمي القـــــرد

فبكى بشار، فقال له قائل: "أتبكي من هجاء حمّاد؟"

فقال: "والله ماأبكي من هجائه، ولكن أبكي لأنه يراني ولا أراه، فيصفني ولا أصفه." وكان بشار يقول: "ما سمعت هذا من حمّاد إلا مقته عليه[1].

وهنا يتأكد دور الصدق الفني في التأثير ومن الصدق هنا رؤية المهجو والعلم بحاله.

الـــدارمـــي والأخـــمـــرة

قال الأصمعي: قدم تاجر من أهل الكوفة المدينة بأخمرة فباعها كلها إلا السود منها، فلـم تنفق، وكان صديقاً للدارمي الشاعر، فشكا ذلك إليه وكان الدارمي قد تنسّك وترك الشعر والغناء فقال له "لاتهتم بذلك فإني سأنفقها لك حتى تبيعها جميعاً إن شاء الله، ثم قال:

قل للمليحـــة فـــي الخمـــار الأســـود	مـــاذا صـــنعت بزاهـــد متعبـــد
قـــد كـــان شـــمَّر للصـــلاة ثيابـــه	حتى عرضت لـــه ببـــاب المســـجد
ردّي عليـــه صـــيامه وصـــلاته	لاتقتليـــه بحـــق ديـــن محمـــد

فشاع قول الدارمي في الناس وقالو: رجع الدارمي عن نسكه وعاد إلى فتكه، فلم يبق في المدينة امرأة ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسوداً حتى نفذ ماكان منها مع العراقي، فلما علم الدارمي ذلك رجع إلى نسكه ولزم المسجد[2].

فقام الشعر مقام الإعلانات التجارية الحديثة، واستطاعت الكلمة أن تروج التجـارة وأن تدر الربح على صاحبها.

عبـــد الله بـــن طـــاهـــر

لما توفي عبد الله بن طاهر، صلى عليه ابنه طاهر بن عبد الله ودفنه، وأعتق عنـد كـل زاوية من زوايا قبره رقبة من غلمانه، وفعل ذلك إخوته، وكان عبد الله بن طـاهر قـد خلّـف أربعين ولداً ذكراً، فقال أبو العميثل (الشاعر الذي اتصل بطاهر بن الحسين فعهد إليـه بتأديـب

---

(١) الأغاني، ١٤/٣٢٩.

(٢) بهجة المجالس ٢/٥٦٠.

عبد الله، ت ٢٤٠ هـ) لمصعب بن عبد الله: "ألا أدلك على شيء تفعله فتقدم به سائر إخوتك عند الأمير طاهر؟" قال: "بلى." فأنشده هذه الأبيات وقال: "اكتب بها إلى الأمير،" وهي:

يامن يحاول أن تكون خلالُه ... كخلال عبد الله أنصت واسمع
فلأ قصدنك بالنصيحة والذي ... حج الحجيج إليه فاقبل أودع
إن كنت تطمع أن تحل محله ... في المجد والشرف الأشم الأرفع
فاصدق وعفَّ وبرَّ وارفق واتئد ... واحلم ودار وكف واصبر واشجع
والطف ولِنْ وتأنّ وانصر واحتمل ... واحزم وجُدّ وحام واحمل وادفع
هذا لطريق إلى المكارم مَهيعاً ... فاسلك فقد أبصرت قصد المهيع

فاستحسن طاهر الأبيات وقال: "والله لقد أفدتني مايجب به شكرك،" فقلده نيسابور وأعمالها ثلاث سنين، وأكسبه ألف ألف درهم(١).

الوليد بن صريع وقاضي الكوفة

خاصم الوليد بن صريع أخته أم كلثوم ابنة صريع إلى عبد الملك بن عمير، قاضي الكوفة، وكان يقال له القبطي، لفرس كان له، فقضى لها على أخيها فقال هذيل الأشجعي.

لقد عثر القبطي أو زلَّ زلة ... وماكان منه إلا العثارُ والزللْ
أتاه وليد بالشهود يقودهم ... على ما ادعى من صامت المال والخول
يقود إليه كلثماً وكلامُها ... شفاء من الداء المخامر والخبل
فأدلى وليد عند ذاك بحجة ... وكان وليد ذا مراء وذا جدل
وكان لها دل وعين كحيلة ... فأدلت بحسن الدل منها وبالكَحَل
فأتت القبطي حتى قضى لها ... بغير قضاء الله في محكم الطول
فلو أن من في القصر يعلم علمه ... لما استعمل القيطي يوماً على عمل
له حين يقضي للنساء تخاوص ... وكان وما فيه التخاوص والحول
إذا ذاتُ دَلٍ كلمته بحاجة ... فهمَّ بأن يقضي تنحنح أو سعل
وبرّق عينيه ولاك لسانه ... يرى كل شيء ماخلا شخصها خلل

---

(١) المصدر نفسه ٦١٥/٢.

فبلغ ذلك القاضي عبد الملك بن عمير فقال: مالهذيل أخــزاه الله! والله لربمـــا جـــاءتني النحنحة أو السعلة وأنا في المتوضأ فأردها مخافة ماقال(١).

فامتنع القاضي من النحنحة مخافة أن يصدق فيه قول الشاعر.

أبو دلامة والقاضي ابن أبي ليلى

كان لرجل شهادة عند أبي دلامة فدعاه إلى تبليغها عند القاضي ابن أبي ليلى، فقال لـــه: "إن شهادتي لاتنفعك عنده،" فقال الرجل: "لابد من شهادتك." فشهد عند القاضي وانصرف وهـــو يقول:

إذا الناس غطَّوني تغطّيــت دونهـــم وإن بحثــوا عنـــي ففـــيهم مباحـــث

فقضى القاضي على الخَصْمِ بشهادة أبي دلامة، وقبض المشهودُ لـــه المـــالَ، وغرمـــه القاضي للمشهود عليه تحرجاً من ظلمه، ويقال: إنما شهد لطبيب عالج ولده من علة به، وأمـــره أن يدَّعي على من يشاء بالف درهم، ففعل الطبيب وشهد أبو دلامة، وهذا أشـــبه بمجونـــه مـــن الأول(٢).

العماني يشفع عند الرشيد

ودخل العماني الشاعر – وهو أبو العباس محمد بن ذؤيب الفقيمي – على الرشيد، فأنشده أرجوزة يقول فيها:

قـــل للإمـــام المُقْتَـــدَى بأَمِّـــه ما قاسمٌ دون مـــدى ابـــن أمـــه

فقد رضيناه فقم فسمِّه

فقال الرشيد: "ما رضيت أن أسميه وأنا قاعد حتى أقوم على رجلي." فقال له: "يا أمير المؤمنين، ما أردت قيام جسم لكن قيام عزم." فأمر الرشيد بإحضار القاسم ولده. ومرَّ العماني في إنشاده يَهْدِر، فلما فرغ قال الرشيد للقاسم: "أما جائزة هذا الشيخ فعليك، وقد سألَنا أن نوليك العهد فأجبناه."

---

(١) بهجة المجالس ٢٢٤/٣، ٢٥٢.
(٢) العمدة ٥٠/١.

فسمى الرشيد ولي عهده بعد سماع الشعر مباشرة.

كما أن الطائي شفع للواثق عند أبيه المعتصم في أن يوليه العهد فقال:

فاشـــدد بهـــارون الخلافـــة إنـــه ... ســـكنٌ لوحشـــتها ودار قـــرار

بفتى بنـــي العبـــاس والقمـــر الـــذي ... حفتـــه أنجـــم يعـــرب ونـــزار

كـــرم العمومـــة والخئولـــة مجَّـــه ... سَـــلَفَا قـــريشٍ فيـــه والأنصـــار

هـــو نـــوء يُمْـــنٍ مـــنكم وســـعادة ... وســـراجُ ليـــل فـــيكم ونهـــار

فـــاقمع شـــياطين النفـــاق بمهتـــدٍ ... ترضـــى البريـــةُ هديَـــهُ والبـــاري

ليســـير فـــي الآفـــاق ســـيرة رأفـــة ... ويسوسَـــها بســـكينة ووقـــار

فالصـــين منظـــوم بأنـــدلس إلـــى ... حيطـــان روميـــةٍ فملـــك ذمـــار

وقـــد علمـــت بـــأن ذلـــك مِعْصَـــمٌ ... ما كنتَ تتركُـــه بغيـــر ســـوار[١]

ولا يعني هذا أن الخلفاء لم يكونوا يعرفون أولياء عهودهم، وإنما كانت هذه الأشعار بمثابة الحافز الجريء لإعلان ولاية العهد.

ابن الزيات يغري المأمون بعمّه إبراهيم بن المهدي

ولما وثب إبراهيم على المأمون اقترض من التجار مالاً كثيراً، فكان فيه لعبد الملك الزيّات عشرة آلاف دينار، فلما لم يتم أمره لَوَى التجار أموالهم، فصنع محمد بن عبد الملك الزيات قصيدة يخاطب فيها المأمون، منها قوله:

تـــذكّر أميـــر المـــؤمنين قيامـــه ... بأيمانه في الهزل منـــه وفـــي الجســـد

إذا هـــزَّ أعـــواد المنـــابر باســـته ... تغنـــى بليلـــى أو بميّـــة أو هنـــد

ووالله مـــامن توبـــة نَزَعـــتْ بـــه ... إليـــك ولاميـــل إليـــك ولا وُد

وكيف بمن قـــد بـــايع النـــاس والتقـــت ... ببيعتـــه الركبـــانُ غـــوراً إلـــى نجـــد!

ومـــن صـــكَّ تســـليم الخلافـــة ســـمعه ... ينادى بها بين الســـماطين عـــن بعـــد

وأي امـــرئٍ ســـمّى بهـــا قـــطُّ نفســـه ... ففارقهـــا حتّـــى يغيَّـــب فـــي اللحـــد

---

(١) المصدر نفسه ٥٨/١ ، ٥٩.

وعرضها على إبراهيم – وهو حينئذٍ خامل الذّكر لم يتعلق بعد بالخدمة تعلقاً ينفع – فسأله إبراهيم كتمانها، واستحلفه على ذلك، وأدى مال أبيه دون سائر التجار [١].

فهذه الأبيات تدين إبراهيم بن المهدي عند المأمون وتثبت خروجه عليه وتذكر المأمون بهذه الثورة؛ ولذا خاف إبراهيم منها وتوسل إلى محمد بن عبد الملك ألا يذيعها وكانت سبباً في استرداد مال عبد الملك.

أبو الشمقمق يتفاءل لخالد بن يزيد

ومن مليح ما وقع في التفاؤل ما حكى محمد بن الجراح، وذلك أن أبا الشمقمق شَخَصَ مع خالد بن يزيد بن مزيد، وقد تقلد الموصل، فلما مر ببعض الدروب اندق اللواء، فاغتمَّ خالد لذلك وتطير منه، فقال أبو الشمقمق:

مــا كــان منــدقُّ اللــواءِ لطيــرةٍ	تُخشى، ولا سوء يكـون معجـلاً
لكـن هـذا العـودَ أضـعف متنـه	صِغَرُ الولاية فاستقلَّ الموصـلا

فسُرِّي عن خالد، وكتب صاحبُ البريد بخبر ذلك إلى المأمون، فـزاده ديـار ربيعـة، وأعطى خالدٌ أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم [٢].

وقد استطاع أبو الشمقمق أن يقلب التشاؤم تفاؤلاً، والبيتان – مع ما فيهما من مبالغة – يسريان عن نفس المتشائم أمثال خالد وغيره ممن يخاف على دنياه.

المنصور وبيت من شعر عمارة بن عقيل

حكى أبو العباس المبرِّد أن المأمون سمع منشداً ينشد قول عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير:

أأتـرك إن قلَّـتْ دراهـم خالـد	زيارتـه؟ إنـي إذاً للئـيم

---

(١) العمدة ٦٢/١، ٦٤.
(٢) العمدة ٦٨/١.

فقال: "أوقد قلّت دراهم خالد؟ احملوا إليه مائتي ألف درهم." فدعا خالد بعمارة، فقال: "هذا مطر من سحابك،" ودفع إليه عشرين ألفاً[١].

والبيت يدل على الوفاء لرجل كثيراً ما أعطى، فلما قل ماله لم ينقطع الشاعر عن مديحه وزيارته، ولذا كان جديراً بالوصل والعطاء.

الأمـــين وخـــادمه كـــوثـــر

وذكر ابن جرير الطبري في تاريخه الكبير قوله:

خرج كوثر خادم الأمين لينظر الحرب أيام محاصرة طاهر بن الحسين وهزيمة ابن أعْين لبغداد فأصابه سهم غَرْب [مجهول الرامي] فجرحه، فدخل على الأمين وهو يبكي لألم جراحه فلم يتمالك الأمين نفسه وأخذ يمسح عنه الدم وهو يقول:

ضـــــربوا قـــــرّة عينـــــي ... ومـــــن أجلـــــي ضـــــربوه

أخـــــــذ الله لقلبـــــــي ... مـــــن أنـــــاس أوجعـــــوه

ثم أُرتج عليه فاستدعى الفضل بن الربيع وأمره بإحضار شاعر يجيز البيتين، فاســتدعي لذلك عبد الله بن محمد بن أيوب التيمي وأنشدهما له فقال:

مـــــالمن أهـــــوى شـــــبيه ... فبـــــه الـــــدنيا تتيـــــه

وصـــــله حلـــــو ولكـــــن ... هجـــــره مـــــرٌّ كريـــــه

مـــن رأى النـــاس لـــه الفضـــل ... علـــــيهم حســـــدوه

مثـــل ماقـــد حســـد القـــــا ... ئـــــم بالملـــــك أخـــــوه

فأمر الأمين له يحمل ثلاثة أبغل دراهم. فلما ولي المأمون الخلافة واستقر الأمـــر لـــه، توسّل إليه عبد الله بالحسن بن سهل، فلما دخل عليه قال: "ألست القائل: مالمن أهوى شبيه؟" فقال بل أنا القائل:

نضّـــر المـــأمون عبـــد الله ... لمّـــــا ظلمـــــوه

نقضـــوا العهـــد الـــذي كـــا ... نـــوا قـــديماً أكّـــدوه

لـــم يعاملـــه أخـــوه بالـــــ ... ـــذي أوصـــى أبـــوه

---

(١) العمدة ٧٠/١.

وأنشده في مدحه قصيدة أولها:

جَزِعت ابن تـيم أن عـلاك مشـيب   وبـان شـباب والشـباب حبيـب

فأمر له بعشرة آلاف درهم[1].

وتدل القصة على أمرين أولهما: نفاق الشاعر حيث مال مـع الغالـب، فمـدح الأمـين وعرض بالمأمون عندما كانت الغلبة للأول، فلما غلب المأمون اعتذر إليه وعـرض بـالأمين. وثانيهما: إبراز جانب من جوانب التهتك التي كان عليها الأمين، وهي ولعـه بالغلمـان وعـدم التحرج من هذا أمام الخاصة والعامة.

وبعد، فقد رأينا أثر هذه الأشعار في تغيير الموقف أو الحكم بالعطاء تارة وبالمنع أخرى وبتغيير الأحكام ثالثة – وما كانت هذه الأمور لتتم إلا بتحريك المشاعر والعقول التـي اسـتطاع الشعراء تحريكها في سامعي أشعارهم من مسئولين وعامة؛ لذا نعود ونؤكد على أهمية الكلمة – خصوصاً الشعرية – في تحريك النفوس وإثارة المشاعر الإنسانية، وكلما اقترب الشعر من نفس المتلقي والانصهار لموقفه كان الأثر أكثر إثارة وأسرع تحقيقاً.

---

(1) بدائع البدائه لعلي بن ظافر الأزدي، ص٨٠ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م.

المصـــادر والمراجـــع

١- القرآن الكريم
٢- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني.
٣- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، لابن عبد البر القرطبي.
٤- البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق حسن السندوبي.
٥- تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار المعرفة، بيروت، الطبعة السادسة ٢٠٠٠م.
٦- تاريخ الأدب العربي - العصر الإسلامي، د. شوقي ضـيف، دار المعـارف بمصـر، الطبعة العشرون ٢٠٠٢م.
٧- جمهرة أنساب العرب، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، مراجعـة لجنـة مـن العلماء بإشراف الناشر، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٨٣م.
٨- الذهب المسبوك في وعظ الملوك، لمحمد بن أبي نصر الحميدي.
٩- السيرة النبوية، لابن هشام، طبعة دار المؤيد (الرياض).
١٠- شاعرات العرب، عبد البديع صقر، منشورات المكتب الإسلامي ١٩٦٧م.
١١- الشعر الجاهلي - خصائصه وفنونه، يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة ١٩٧٩م.
١٢- الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر.
١٣- طبقات الشعراء، لابن المعتز، تحقيق عبد الستار فراج.
١٤- العمدة في محاسن الشعر ونقده، لابن رشيق القيرواني، تحقيق الشيخ محمد محي الـدين عبد الحميد.
١٥- عيون الأخبار، لابن قتيبة.
١٦- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير.
١٧- المستطرف في كل فن مستظرف، للأبشيهي.
١٨- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الثانية ١٩٧٨م.
١٩- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لحازم القرطاجني، تحقيق ابن الخوجة.
٢٠- الموشح، للمرزباني.

فهـرس الموضوعـــات

رقم الإيداع

٢٣١٨٩ / ٢٠٠٦